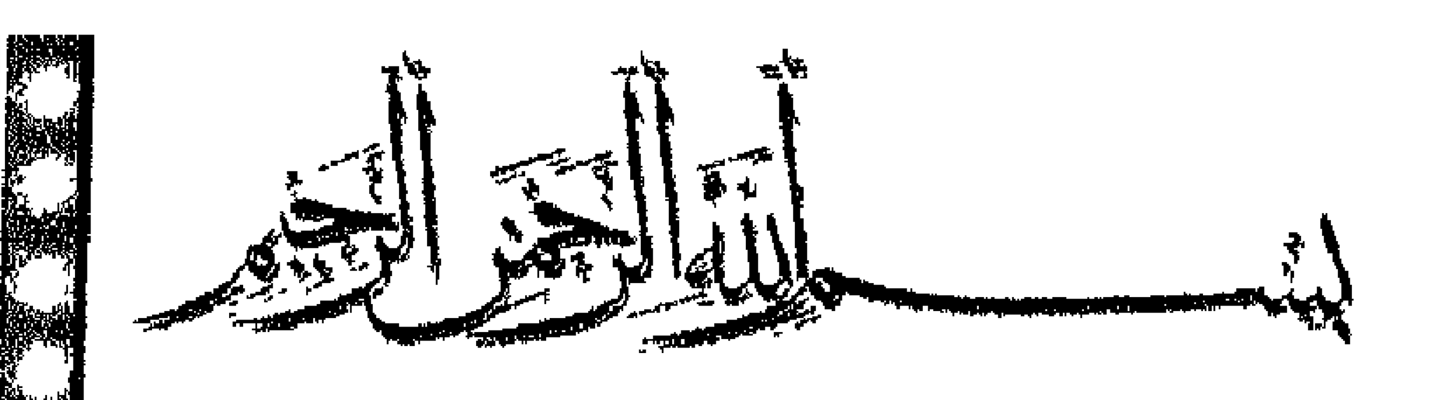


التوحيد
مجلة إسلامية . ثقافية . شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
السنة الثالثة والثلاثون . العدد الثالث . ربيع الأول ١٤٢٥هـ . الثمن ١٥٠ قرشاً
بوش وشارون
جناحا الشر
والإرهاب !!
اسألوا الصوفية
الاحتفال بالمولد في ميزان الشريعة
التحذير من الفتن التي تقع في آخر الزمان
كيف ينصر الله أمة الإسلام



رئيس مجلس الإدارة د. جمال المراكبي



مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

المشرف العام

د. عبد الله شاكر

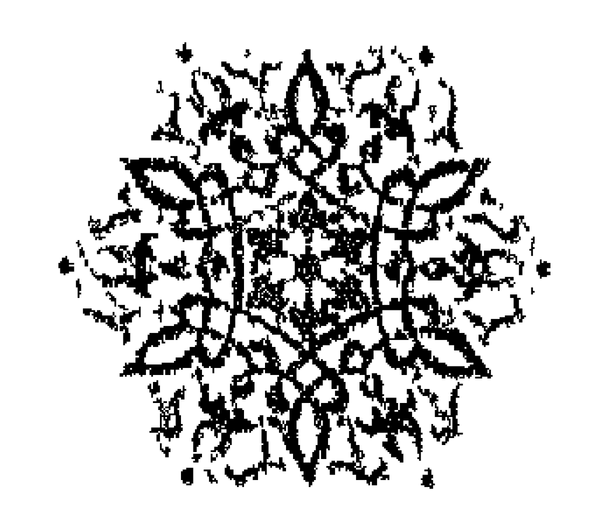
اللجنة العلمية

د. عبد العظيم بدوي

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل



السلام عليكم

وعد بلفور الجديد

إنها السنن ورب الكعبة... عدو الأمس هو عدو اليوم... وسط الفشل الذريع في مجرد عقد لقاء لما يسمى بالقمة العربية وإصدار تونس لقرار مفاجئ بإلغاء القمة العربية، ولازلنا نعيش الآثار المدمرة للوعد الإجرامي الصادر عن بريطانيا في عام ١٩١٧م فيما سمي بوعد بلفور لصالح اليهود، وزرعهم في دولة فلسطين، واقتلاع شعب بأكمله من أرضه ودياره.... يخرج علينا اليوم وفي وقت قاتل حامي حمى اليهود وبلا منافس ولا منازع الإرهابي بوش بطل تدمير الفالوجة وتصفيتها بتصريحات نارية هي بمثابة وعد بلفور الجديد لإسرائيل والذي كان بمثابة الفاجعة لمن يتطلعون إلى وهم السلام المزعوم، حيث أعلن بوش التزامه وحرصه على أمن إسرائيل واصفًا الجدار العنصري بأنه جزء من خطة إسرائيل للدفاع عن نفسها وحقها في الإحتفاظ بأراضي في الضفة الغربية، وإستحالة العودة لحدود ١٩٦٧م، وإستحالة عودة اللاجئين الفلسطينيين ومنح الشرعية للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة.

إنها أحلام وأوهام السلام !!

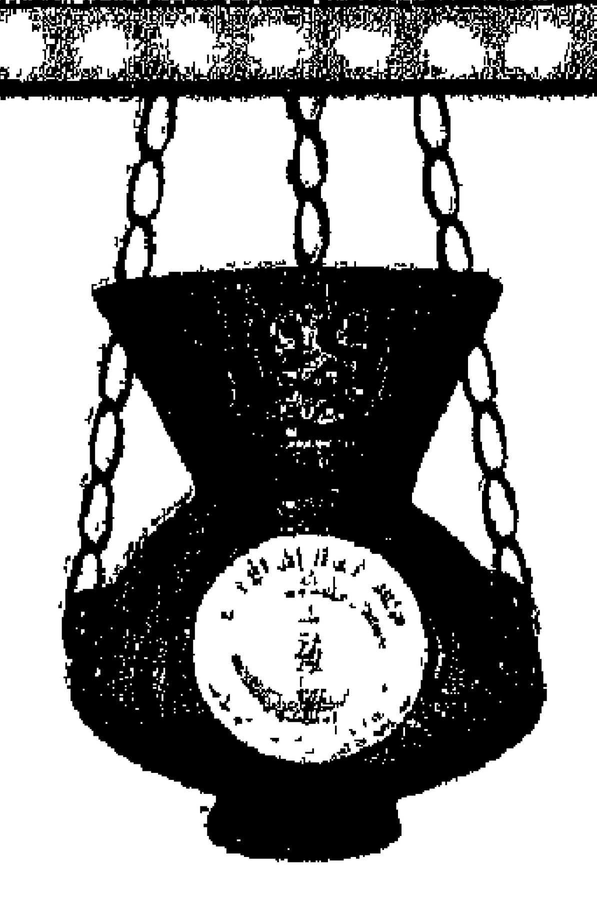
﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾

رئيس التحرير

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com
موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة
ت: ٢٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦



صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

في هذا العدد

الافتتاحية : «اتباع نهج السلف الصالح» الحلقة الثانية
د . جمال المراكبي ٢

كلمة التحرير : رئيس التحرير ٥

باب التفسير : «سورة الملك» الحلقة الأولى
د . عبد العظيم بدوي ٩

باب السنة : «تعظيم الرسول ﷺ» زكريا حسيني ١٣

خطبة الجمعة للشيخ السديس ١٦

اختتام المخيم الربيعي لجمعية إحياء التراث الإسلامي ٢٠

مشروع حفظ السنة علي حشيش ٢١

من علوم القرآن: أسباب النزول (٣) مصطفى البصراتي ٢٣

اتبعوا ولا تبتدعوا: الحلقة الثامنة معاوية محمد هيكل ٢٦

كيف نفهم العقيدة: الحلقة السابعة د. محمود عبد الرازق ٢٩

مفاهيم عقائدية: الملائكة وبقية المخلوقات أسامة سليمان ٣٢

الإعلام بسير الأعلام: «قدوة المفسرين والمحدثين قتادة»
مجدي عرفات ٣٤

واحة التوحيد ٣٦

ماذا يحب الله وماذا يكره: الحلقة الثالثة عدنان الطرشة ٣٨

اسألوا الصوفية صفوت الشوادفي ٤٠

دراسات شرعية: نية الاتباع (٢) د. محمد محمد شتا أبو سعد ٤٢

الأمن يوم الفزع الأكبر (٢) صلاح عبد الخالق ٤٥

أطفال المسلمين: (٢٧) جمال عبد الرحمن ٤٨

الإسلام ومجتمع العفة شوقي عبد الصادق ٥٠

أسئلة القراء عن الأحاديث أبو إسحاق الحويني ٥٣

من القصص الواهية: (٤٤) المظاهرة التي قادها حمزة وعمر رضي الله عنهما علي حشيش ٥٦

فتاوى اللجنة بالمركز العام ٥٩

فتاوى ابن عثيمين ٦١

تقسيم التوحيد: الحلقة السادسة
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٦٣

وقفات على طريق طالب العلم: الحلقة الثالثة فهد البحي ٦٤

حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما في التحذير من الفتن التي تقع في آخر الزمان عبد القادر شيبة الحمد ٦٦

الاحتفال بالمولد في ميزان الشريعة حسين الدسوقي ٦٩

الرزق في القرآن المستشار/ أحمد السيد علي ٧١

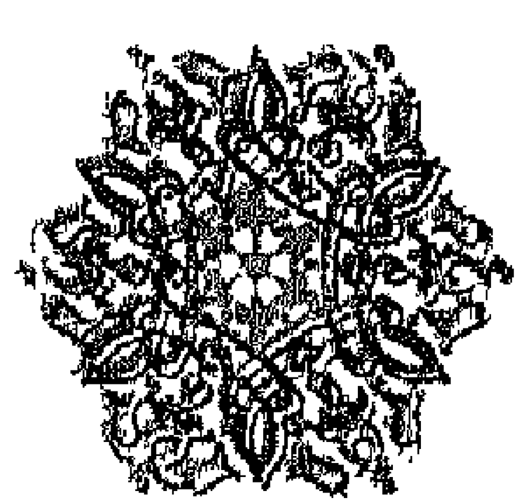
ثمن النسخة

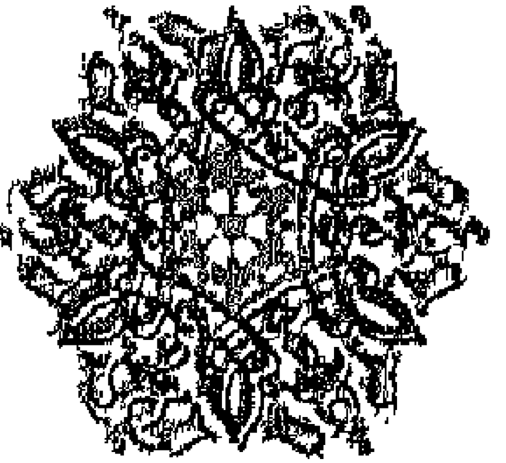
مصر ١٥٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).

٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلها. ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).





التوزيع الداخلى

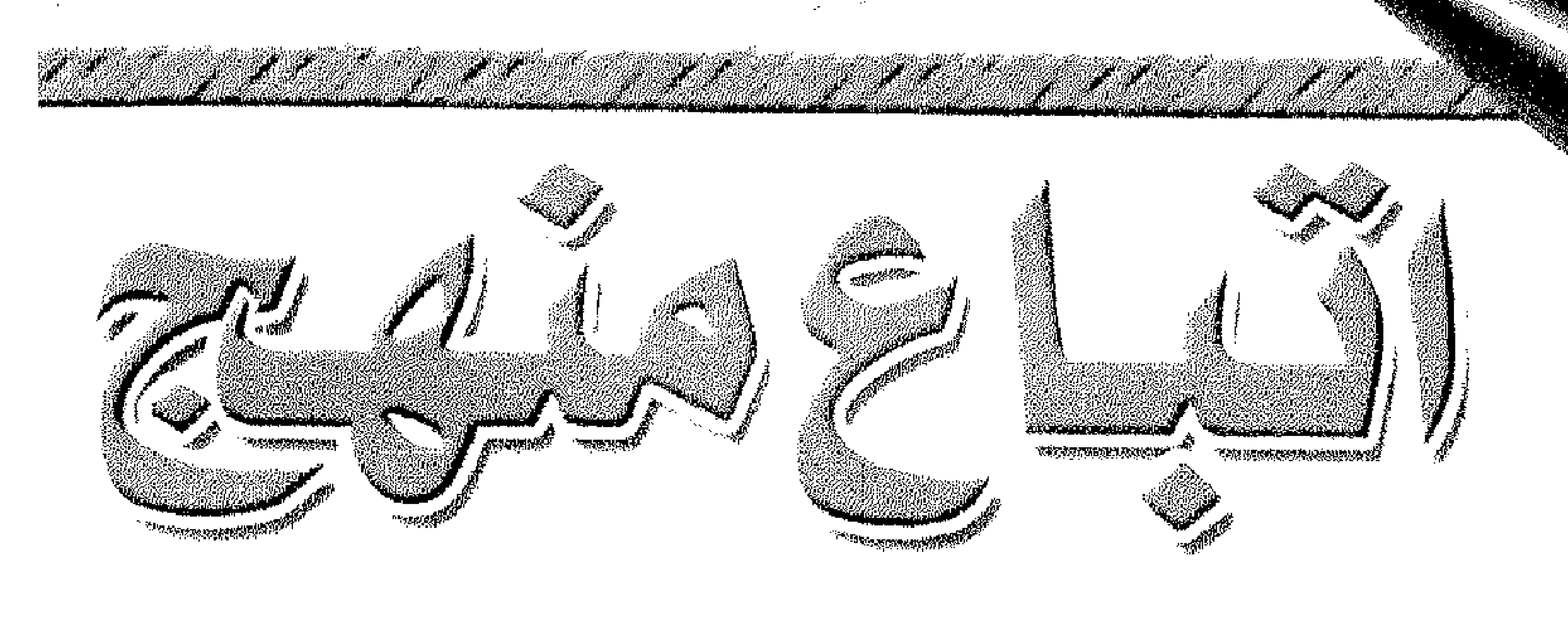
مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية

المركز العام : القاهرة ـ ٨ شارع قوله ـ عابدين

هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ ـ ٣٩١٥٤٥٦

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر



اتباع منهج

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

تكلمنا عن وجوب اتباع منهج السلف الصالح، فهو منهج الأمة المجمع عليه قبل وقوع الفرقة والخلاف، فالله سبحانه جعل لنا نبينا ﷺ أسوةً يقتدي به المؤمنون من هذه الأمة فاقتدى به وبسنته وهديه خير قرون هذه الأمة والواجب على من جاء بعدهم أن ينتهج نهجهم ويسير على طريقتهم، ومن ترك ذلك فقد خرج عن منهاج الرسول واتبع غير سبيل المؤمنين: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

لقد حذرنا النبي ﷺ من الاختلاف وأمرنا أن نعتصم بسنته وسنة الراشدين من بعده، فقال: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

وإذا كان النبي ﷺ قد أسر إلى فاطمة رضي الله عنها- وهي بضعة منه- في مرضه الذي توفي فيه بأنه قد حضر أجله وأنها أول أهله لحوقًا به ﷺ، ثم أوصاها بقوله: «فاتقى الله

بقدر طاعتنا لرسول الله ﷺ واتباعنا

لقد حذرنا النبي ﷺ من الاختلاف وأمرنا أن

البدع التي يحدثها الناس على

السلف الصالح (٢)

بقلم
الرئيس العام

واصبري فإني نعم السلف أنا لك». [متفق عليه].

فنحن والله أحوج إلى هذه الوصية، بتحقيق تقوى الله عز وجل في السر والعلن والقول والعمل، والصبر على طاعة الله عز وجل وطاعة نبيه ﷺ واتباع سنته وهديه، فإنه ﷺ خير سلف لكل مؤمن مهتدٍ وهو سلفُ رحمةٍ لأمته كما جاء في صحيح مسلم: «إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه». [صحيح الجامع].

وبقدر طاعتنا لرسول الله ﷺ واتباعنا لهديه يكون نصيبنا من هذه الرحمة، ويتجلى هذا حين يقوم الناس لرب العالمين حفاةً عراةً غرلاً بهمًا وتدنو الشمس من الرؤوس وتشتد الكرب بالناس ويشتد بهم العطش فيجدون رسول الله ﷺ في مواطن الشفاعة، ويجدونه ﷺ على حوضه يسقيهم بيده شربة لا يظمأون بعدها أبدًا، أما من ترك هدي النبي ﷺ وأحدث في دين الله ما ليس منه فترده الملائكة عن الحوض كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وإن أول الخلائق يُكْسَى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم. [متفق عليه]. وهذا لفظ البخاري في كتاب الرقاق باب الحشر.

وفي الحديث الآخر، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا. [متفق عليه].

فالبدع التي يحدثها الناس على خلاف منهج الرسول ﷺ تجرهم إلى هذا المصير، لأن كل بدعة ضلالة، وكل بدعة في الدين مردودة على من ابتدعها كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

ولقد كان سلفنا الصالح أشد الناس اتباعًا لهدي رسول الله ﷺ. قال ابن مسعود: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

وقال ابن عمر: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.

وقال ابن عباس: ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة، حتى تحيى البدع وتموت السنن. [اللالكائي].

وقال عمر بن عبد العزيز: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على

لهديه يكون نصيبنا من رحمة الله

نعتصم بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده

خلاف النهج تجرهم إلى الهلاك

علم وقفوا وببصر نافذٍ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون. [أبو داود- كتاب السنة].

والبدع التي يروج لها أعداء السنن كثيرة جدًا، حتى لو رأيت الناس اليوم، وقارنت بينهم وبين ما كان عليه سلف الأمة لرأيت البون شاسعًا، والأمة غير الأمة، وشتان بين أمة في حال عزها وقوتها واجتماعها على الحق، وبين أمة قد نزغ الشيطان بينها فصارت فرقًا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون، تركت سبيل عزها، واتبعت سنن من كان قبلها من الأمم إن شبرًا فشبر وإن ذراعًا فذراع.

وإن مما أحدثه أهل البدع في زمان الضعف والفرقة بدعة الاحتفال بمولد النبي ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول متبعين في ذلك هدي النصارى في احتفالهم بعيد الميلاد، والعجيب أن النبي ﷺ لم يتفق العلماء على يوم مولده تحديدًا، وأنه صلى الله عليه وسلم مات في شهر ربيع الأول، ودخل المدينة بعد الهجرة في شهر ربيع الأول، ولكن أبى المبتدعون إلا أن يخصوا هذا الشهر بالاحتفال بالمولد وزعموا أن النبي ﷺ كان يحتفل بالمولد لأنه كان يصوم يوم الاثنين والخميس ويقول عن يوم الاثنين: هذا يوم ولدت فيه، ولو صدقوا في زعمهم واتبعوا السنة لصاموا يوم الاثنين ويوم الخميس كما كان رسول الله ﷺ يصوم.

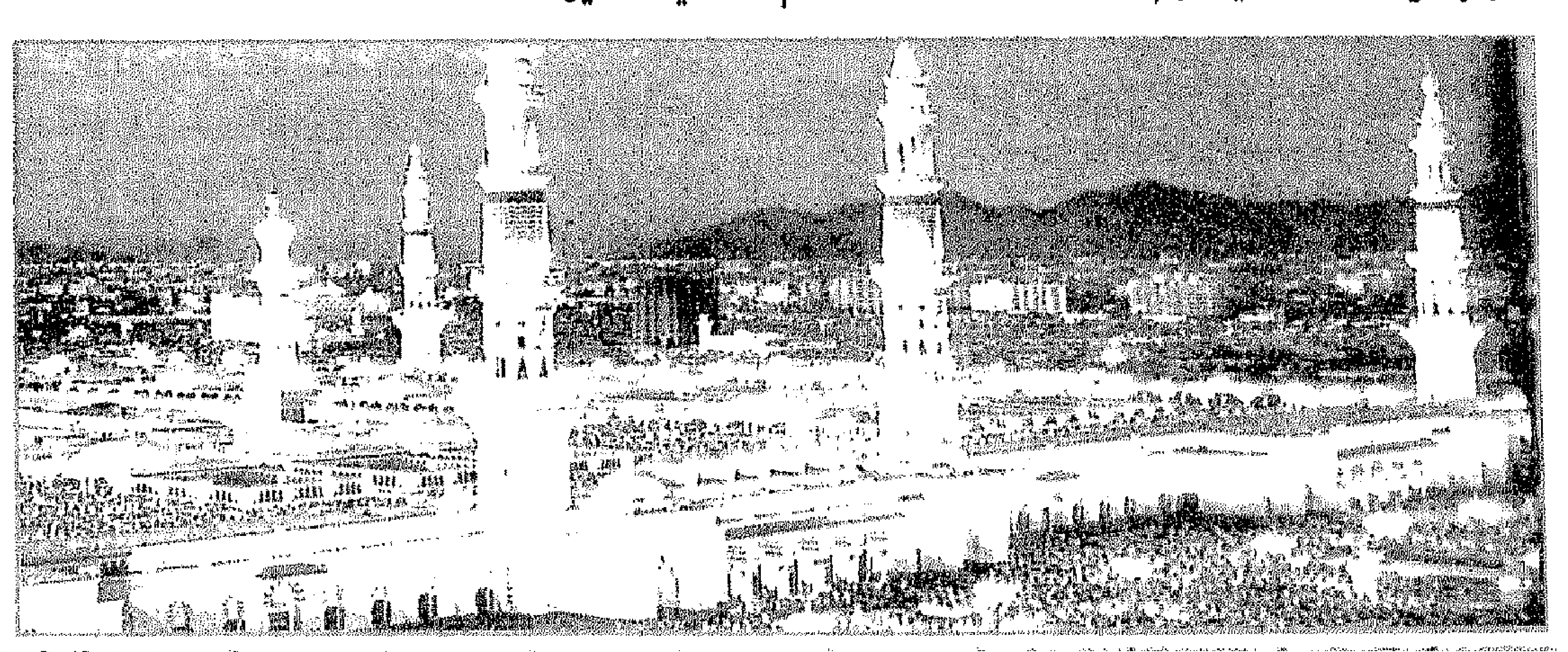
ولكن أهل البدع لا يهتمون بالعبادة بقدر ما يهتمون بالبدعة ولهذا فاليوم عندهم بل والشهر كله موسم للطعام والشراب وعرائس الحلوى مما ورثوه عن أسلافهم من العبيديين الذين كانوا يتقربون بِسبِّ أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وسائر الصحابة، ويغالون في علي وبنيه ويبنون القباب والمشاهد ويرفعون القبور ويطوفون بها ويدعون أهلها من دون الله عز وجل، ومن نصحهم وقال لهم: هذا خلاف السنة نبذوه واتهموه ببغض النبي ﷺ وبغض الصالحين.

فإلى الله المشتكى ممن ترك هدي النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده واتبع غير سبيل المؤمنين، ونذكرهم بمقالة الجنيد رحمه الله: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ.

وبمقالة إمام دار الهجرة: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

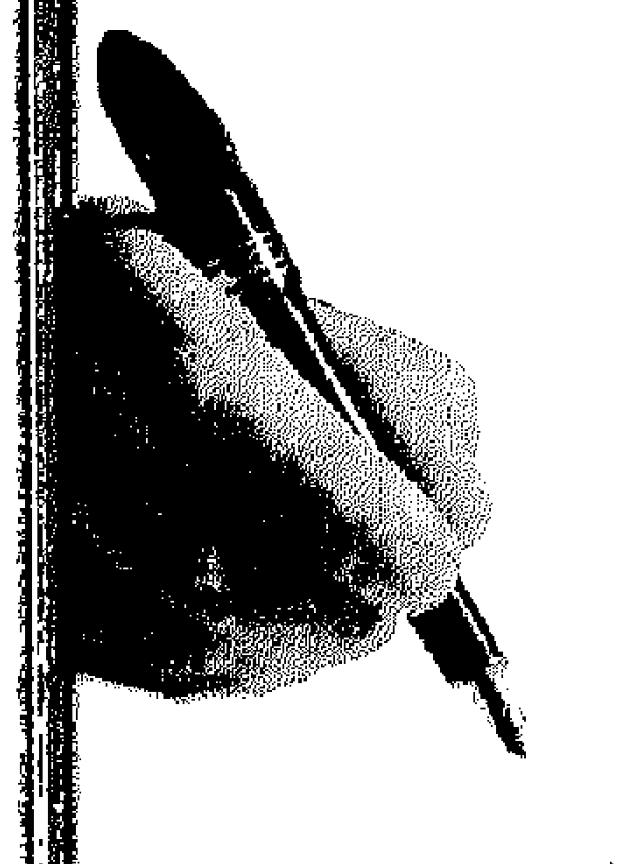
ونسأل الله أن يعصمنا الزلل وأن يجعلنا ممن اعتصم بالكتاب والسنة وبهدي سلفنا الصالح، وأن يهدي ضال المسلمين وأن يوحد صفوفهم على الحق إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله أولا وآخرا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واتبع هداه وسلم تسليمًا كثيرًا.



كلمة التحرير

بوش وشارون جناحا الشر والإرهاب



رئيس التحرير

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومستدرج العاصين بمكره.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فإن العالم الإسلامي اليوم ليمرّ بظروف عصيبة وخطوب عظيمة، والأمة المسلمة بأسرها شاخصة أبصارها ألمًا وحيرة وذهولا، بل يزداد ألمها حينما ترجع البصر كرات وكرات، ثم ينقلب إليها البصر خاسئًا وهو حسير، فإذا بالضربات تتوالى عليها وتتقاذف كحمم بركانية لا تجد الأمة أمامها ملجأ أو مغارات أو مدَّخلا يحميها من الظلم الطاغي والإرهاب الدولي المقنَّن، بل إنها تتلقى الضربات تلو الضربات وما من ملبٍ وما من مجيب.

إننا نعيش في زمن بُليت فيه أمة الإسلام بتفريق الكلمة، وتصارع الأهواء، وحُجبت بالجهل عن معرفة أحوال عدّوها وصنائعِه مما جعلها تستسلم للمحتل المجرم الباغي.

وبالأمس القريب وعلى أرض تونس حيث كانت تجرى الاجتماعات التحضيرية لعقد القمة العربية، حيث كانت أجهزة النقل السرية تنقل وقائع الجلسات إلى الخارجية الأمريكية والبيت الأبيض وجهات أخرى عديدة مصحوبة بترجمة فورية، وكان لكل هذه الجهات رأيها في عقد القمة من عدمها فهي كانت معنية بالأساس بالتطورات الدائرة داخل أروقة القمة مما استدعى تدخلها في الوقت المناسب لإفشال القمة.

وكانت بعض الدول العربية ومن بينها تونس قد تلقت تقريرًا أمريكيًا عاجلا يؤكد المتابعة المباشرة والدقيقة لأعمال وزراء الخارجية العرب، لذلك فإن كولن باول وزير الخارجية الأمريكي قد أجرى اتصالات عاجلة خلال الاجتماع الأخير مع عدد من القادة العرب، ثم نقل تقريرًا من الخارجية الأمريكية بشكل عاجل إلى تونس وبعض البلدان العربية الأخرى يتضمن انتقادات لمسار الاجتماع المغلق والمنعقد في تونس.

وقد جاء تقرير الخارجية الأمريكية بعد أن اتفق الوزراء العرب على أن يبدأ مشروع البيان الختامي للقمة بتوجيه تحية تقدير وإكبار للرئيس عرفات على صمود الشعب الفلسطيني وتصديهم الشجاع للعدوان الإسرائيلي المستمر والمتصاعد، وإدانة حائط الفصل العنصري.

وراح البيان يؤكد إدانة إرهاب الدولة الذي تمارسه حكومة شارون.. سفاك ومصاص الدماء، وسياسة العقاب الجماعي التي تمارسها، والعملية الإرهابية التي قامت بها جنود الاحتلال وقتل الشيخ أحمد ياسين في ٢٢ / ٣ / ٢٠٠٤ وعدد من رفاقه تمثل تجسيدًا لإرهاب الدولة، وتدل على استمرار سياسات الحكومة الإسرائيلية العدوانية التي تظهر بشكل جلي وواضح أنها لا تعبأ

كلمة التحرير

بالأمس القريب اعتصرت الأمة ألمًا وحزنًا وهي تشاهد اغتيال قادة الجهاد الفلسطيني في مشهد دموي مروع

بالمبادرات الهادفة إلى تحقيق السلام العادل والشامل في المنطقة.

وقد تردد أن السفير الإسرائيلي في واشنطون كان يتابع من داخل مقر الخارجية الأمريكية في واشنطون الوقائع المباشرة للاجتماع المغلق، كما قدم كولن باول احتجاجًا قبله في الحال، وأطلع الرئيس بوش على هذه الصيغة التي كانت ستصدر من قمة تونس ووفقًا للمعلومات الدبلوماسية فإن بوش أصدر أوامره إلى كولن باول بالتحرك سريعًا لإفشال هذا الموقف، وبالفعل جرى إعداد تقرير أمريكي عاجل وسريع وصل إلى عدة عواصم عربية في وقت واحد طالب فيه بإلغاء فقرة إدانة إسرائيل في قضية اغتيال أحمد ياسين وإلغاء كل ما ورد عن فكرة إرهاب الدولة لإسرائيل.

وشملت المذكرة الأمريكية تدخلا سافرًا في كل البنود المعروضة على اجتماع وزراء الخارجية، وبعد وصول التقرير الأمريكي دارت المناقشات حتى صدرت الأوامر السيادية من الرئيس التونسي لوزير خارجيته بالإعلان عن إلغاء المؤتمر وتأجيله إلى أجل غير مسمى.

وجهان قبيحان لعملة واحدة

ومع كل ما يقع في ديار المسلمين من نكبات نجد أن البشر جميعًا يشتركون في استدعاء البلاء لهم دون فرق في الانتماء الدينيّ أو العرقيّ، بَيْدَ أن المسلمين إذا ابتلوا فإنهم يتقلّبون في رحمة الله عز وجل إن هم استحضروا أمر الله وحكمته في ذلك الابتلاء فيكون أمرهم كله لهم خير، إن أصابتهم سراء شكروا فكان خيرًا لهم، وإن أصابتهم ضراء صبروا فكان خيرًا لهم ولا يكون ذلك إلا لأمة الإسلام ولذلك قال الله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥، ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨].

جرائم اليهود لا تتوقف

وبالأمس القريب اعتصرت القلوب ألمًا وهي ترى وتشاهد للمرة الثانية خلال أقل من شهر مشهدًا دمويًا مؤسفًا، فبعد اغتيال الشيخ المقعد أحمد ياسين مؤسس حركة حماس وذلك باستهدافه أثناء خروجه من صلاة الفجر، وفجرت جسد الشيخ القعيد وحولته أشلاءً متناثرة في منظر بشع لا يعبر إلا عن حقدٍ دفين على الإسلام والمسلمين، وما أشبه الليلة بالبارحة فقد تكرر المشهد أكثر بشاعة وجرمًا في عملية وحشية جديدة تضاف إلى سجل جرائم الإرهابي شارون.. عندما سلط صواريخه الثلاثة من طائرةٍ استهدفت قائد حركة حماس الدكتور عبد العزيز الرنتيسي وثلاثة من مرافقيه في ظل الضعف والهوان الذي أصاب الأمة وقد يتكرر المنظر مرات ومرات وفي كل مرة يكون أكثر بشاعة من سابقه .. والدعم الأمريكي يتحرك على الفور فشارون يشرف بنفسه على تلك العمليات، ورفيقه

بوش يتابع الموقف عن كثب ويصدر أوامره على الفور بتهنئة شارون وتغطية العملية على المستوى الدولي ببيان يصدر على الفور من وزارة الخارجية الأمريكية يؤكد أحقية إسرائيل في الدفاع عن نفسها وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن أيادي اليهود القتلة ملوثة بدماء الأنبياء، ولا عجب فجرائمهم عبر تاريخهم الطويل معلومة لأمة الإسلام منذ اللحظة الأولى لبعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما حدث في بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير خير شاهدٍ على ذلك، وما يجري اليوم على أرض فلسطين من قتل واغتيالات ونقضٍ للعهود، لهو دليل دامغ على حقدهم الدفين على أمة الإسلام، قال الله عز وجل: ﴿تشابهت قلوبهم﴾.

المأزق الأمريكي في العراق.. ومذابح الفالوجة

وعلى الطرف الآخر لجناحي الشر قامت قوات التحالف بقيادة بوش بارتكاب مذابح جماعية تفوق المذابح التي يحاولون محاكمة صدام ونظامه بشأنها... ولكن من يحاكم بوش وأعوانه والملاعب الرياضية في الفالوجة شاهدة بعد أن تحولت لمقابر جماعية لشهداء الفالوجة فقد استشهد أكثر من ٧٠٠ شهيد وجرح ما يزيد على ألف وسبعمائة اكتظت بهم مستشفيات الفالوجة... بعد الحصار الذي فرضته قوات التحالف.

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

وفي ظل الحصار الدامي الذي تفرضه قوات التحالف بقيادة أمريكا يكشف تقريرًا أمريكيًا أعدته وزارة الخارجية الأمريكية بمشاركة وزارة الدفاع وجهاز الأمن القومي «الـ سي. أي. إيه» يرصد ما جرى منذ بدء عملية حصار الفالوجة. حيث أكد التقرير الأمريكي أن الوضع الميداني في العراق معقد للغاية، وأن السبب الرئيس لذلك هو أن قوات التحالف دخلت في مرحلة حرب حقيقية مع عناصر عسكرية مدربة لديها قدرة جيدة على استخدام الأسلحة والإيقاع بالمعدات والجنود الأمريكين.

وقدر التقرير الخسائر البشرية في قوات التحالف في خلال الأيام العشرة الأولى في هذا الشهر بحوالي ٩٨٣ قتيلا وذلك في إحصاءٍ أوّليّ، في حين أن الجنرال كيميت نائب قائد قوات التحالف في العراق قدر العدد بنحو ٧٠ قتيلا فقط، وقال التقرير الأمريكي: إن هذا العدد لا يضم المفقودين أو الرهائن الذين لا تزال القوات الأمريكية تعتبرهم في عداد الأحياء، حيث يصل عدد المفقودين من القوات الأمريكية إلى حوالي ٢٨٠ شخصًا بينما وصل عدد الجرحى من قوات التحالف إلى حوالي ١٢٠٠ شخص من بينهم ٩٠٠ إصابة خطيرة، ١٠٠ إصابة متوسطة، ٢٠٠ إصابة بسيطة.

وأكد التقرير الأمريكي «أن المقاتلين العراقيين يستخدمون الأسلحة العراقية التي كانت مخبأة، والتي فشلت القوات الأمريكية

> إن أيادي اليهود القتلة ملوثة بدماء الأنبياء، ولا عجب فجرائمهم عبر تاريخهم الطويل معلومة لأمة الإسلام منذ اللحظة الأولى لبعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

كلمة التحرير

في العثور عليها لمدة عام كامل.

وفي ضوء ذلك التقرير صدرت الأوامر من البيت الأبيض بضرورة مواجهة كافة العناصر التي تهدد قوات التحالف مع ضرورة أن تنتهي المخابرات الأمريكية في غضون أسبوعين فقط من إعداد خطط الفتنة بين الشيعة والشيعة، وبين السنة والسنة، وبين الشيعة والسنة وفي ضوء ذلك تجرى حاليًا الاستعانة بعدد من الخبراء الإسرائيليين للتخطيط في اغتيال القيادات والرموز الفلسطينية لاستخدامها في عمليات الاغتيال المرتقبة ضد رموز الشيعة والسنة، وقد ذاقت قوات التحالف ما لم تذقه من قبل في حرب شوارع واختطافها رهائن من كل الجنسيات مما جعل قوات التحالف تراجع موقفها جيدًا مرة أخرى برغم الضغوط الأمريكية الشديدة عليها لعدم الإنسحاب.

وبشر الصابرين

ومع كل ما يحدث على أرض العراق وفلسطين فإننا نستبشر بذلك خيرًا، فكم في طيات المحن من مِنَح، وكم في ثنايا النِّقَم من نعم، وتلك سنة الله عز وجل الكونية والشرعية، وسِجل التاريخ خير شاهد مما يبعث في نفس المسلم الثقة بالله عز وجل ونصرة دينه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾، والمُوَفَّقُ من فقه الدروس وأخذ العبرةَ من الأحداث، وفهم آثارها وأسرارها وعواقبها، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فصبراً صبرًا أيها المسلمون المجاهدون في كل بقاع الأرض، وليستيقن الجميع أن ثمة حقيقة واضحة ينبغي ألا تغربَ عن الأذهان مطلقا، وهي أن عاقبة التدافع بين القوى وثمرة الصراع بين الحق والباطل إنما هي للمؤمنين المتّقين، فليهنأ المسلمون بذلك، ولتقر أعينهم، فالنصر للإسلام وأهله مهما طال الزمان أو قصر، وما علينا إلا الإخلاص والصدق والجد والعمل، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (*) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الروم:٤، ٥]

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأرض اللهم عن خلفائه الراشدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ومع كل ما يحدث على أرض العراق وفلسطين فإننا نستبشر بذلك خيراً، فكم في طيات المحن من مِنَح، وكم في ثنايا النّقم من نِعم، وبشر الصابرين

سورة الملك

الحلقة الأولى

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ *﴾ الملك: ١-٤



بقلم
د. عبد العظيم بدوي

بين يدي السورة

سورة مكية، شأنها شأن السور المكية في الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين، وبخاصة: التوحيد، والرسالة، والبعث.

ولقد كان رسول الله ﷺ يقرؤها كل ليلة، وحث على قراءتها، فقال: إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غُفِرَ له، وهي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك:١].

وقد قررت الآية الأولى منها حقيقتين: الأولى: أن الملك بيد الله وحده، والثانية: أن الله على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم جاءت الآيات التسع والعشرون تؤكد هاتين الحقيقتين وتقررهما بأساليب مختلفة، وهذا ما يمكن قوله في هذه المقدمة.

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

هكذا مجّد اللهُ نفسه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ تنزه وتعالى عن النقائص، وكَبُرتْ بركاته وعمّ خيره، ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ فهو المالك له، المهيمنُ عليه، القابضُ على ناصيته، المتصرّف فيه، وهذه هي الحقيقة الأولى، التي تقررها الآية كما ذكرتُ. وهي حقيقةٌ طالما ذكرها القرآن وكررها: قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

وهي حقيقة، حين تستقر في القلب تحدّد له الوجهة والمصير، وتخلّيه من التوجّه أو الاعتماد أو الطلب من غير المالك المهيمن المتصرف في هذا الملك بلا شريك،

كما تخليه من العبودية والعبادة لغير الملك الواحد.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. هذه هي الحقيقة الثابتة: أن الله الذي له ملك السموات والأرض لا يَعْجَزُ عن شيء، ولا يُعجزه شيء، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، وكما قال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ [الجن:١٢]، وهو سبحانه: ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦] لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، وهي حقيقةٌ حين تستقر في القلب يُطلق تصوره لمشيئة الله وفعله من كل قيد يرد عليه من مألوف الحسّ أو مألوف العقل أو مألوف الخيال، فقدرة الله وراء كل ما يخطر للبشر على أي حال. والقيود التي ترد على تصور البشر بحكم تكوينهم المحدود تجعلُهم أسرى لما يألفون في تقدير ما يتوقّعون من تغيير وتبديل فيما وراء اللحظة الحاضرة والواقع المحدود. فهذه الحقيقة تُطْلِقُ حسّهم من هذا الإسار، فيتوقّعون مِن قدرة الله كل شيء بلا حدود، ويكلون لقدرة الله كل شيء بلا قيود، وينطلقون من أسر اللحظة الحاضرة والواقع المحدود.

وهاتان الحقيقتان تجعلان المسلم دائمًا لا يلتفتُ إلى غير الله، ولا يتعلق قلبُه بغير الله رجاءً ولا خوفًا، فإذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، ليقينه أن الله وحده هو المالك وما سواه مملوك، وأن الله وحده هو القادر وما سواه أعجز عن أن يحقق لنفسه نفعًا أو يدفع عنها ضرًا، فضلاً عن أن يكون أقدر على ذلك لغيره، وهذا ما وصى به النبي ﷺ ابن عباس حين قال له: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجفّت الصحف».

[حسن صحيح، رواه الترمذي (٤/٧٦/٢٣٦٥)].

قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾، هذا أوّلُ أثرٍ من آثار انفراده سبحانه بالملك وتصريفه له، وأولُ أثرٍ من آثار قدرته على كل شيء وطلاقة إرادته، فهو سبحانه وتعالى يحيي ويميت، وقد خلق الموت والحياة لغاية عظيمة، وإنما قدّم ذكر الموت لأنّ الموت سابق الحياة، والعدم سابق الوجود، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الإنسان:١]، كما قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨]، وحكى الله تعالى عن أهل النار، أنهم إذا دخلوها وذاقوا أليم عذابها، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١]، والمراد بالموتة الأُولى العدمُ الذي سبق الحياة والوجود، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الإنسان:١]، والمراد بالحياة الأولى هذه التي يحياها كلٌّ منا الآن، ثم يموت كلٌّ إذا استوفى أجله، فهذه الموتة الثانية، ثم يبعث الله

الموتى، وهذه هي الحياة الثانية. كما أن من أسباب تقديم الموت على الحياة أن يكون الإنسان أكثر ذكرًا للموت، فلا يغفل عما بعده، كما قال ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت». [حسن صحيح، رواه الترمذي (٣٧٨/٢٤٠٩ و٣/٣٧٩)، وابن ماجه (٢/١٤٢٢/٤٢٥٨)، والنسائي (٤/٤)].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ بيانٌ لحكمة خَلْق الخلق، وخلق الموت والحياة، وقد تكرّر ذكر هذه الغاية في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، هذا واحدٌ منها، والثاني في سورة الكهف، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧]، والثالث في قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود:٧]، ولم يقل سبحانه ليبلوكم أيكم أكثر عملاً، وإنما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ حتى يهتم المسلم بتحسين عمله لا بكثرته، فركعتان يُسْبِغُ وضوءَهما، ويُحْسِنُ قراءتهما، ويطمئن في ركوعهما وسجودهما، خيرٌ من ألف ركعة بخلاف ذلك. قال الفضيل بن عياض رحمه اللّهُ في تفسير هذه الآية: لا يكون العمل مقبولاً حتى يكون خالصًا وصوابًا، فإن كان خالصًا وليس صوابًا، أو صوابًا وليس بخالص، لم يُقْبَل حتى يكون خالصًا وصوابًا، قالوا: يا أبا علي، فما الخالص وما الصواب؟ قال: الخالص ما ابتغي به وجه اللّه، والصواب ما وافق هدي رسول اللّه ﷺ. فهما شرطان أساسيان في قبول العمل الصالح من المؤمن، الأول: الإخلاص لله، والثاني: المتابعة لرسول اللّه ﷺ، فلا بد من توحيد اللّه في العبادة، وتوحيد الرسول ﷺ في المتابعة.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥، ٦٦]، وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء. فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمتَ العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع اللّه عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال :كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار».

فالإخلاصَ الإخلاصَ عبادَ اللّه، وإياكم والرياء، وعليكم بالسنة وإياكم ومحدثات الأمور، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران:٣١]، وقال: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، قال النبي ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

قال العلماء: ينبغي لكل من همّ بعمل أن

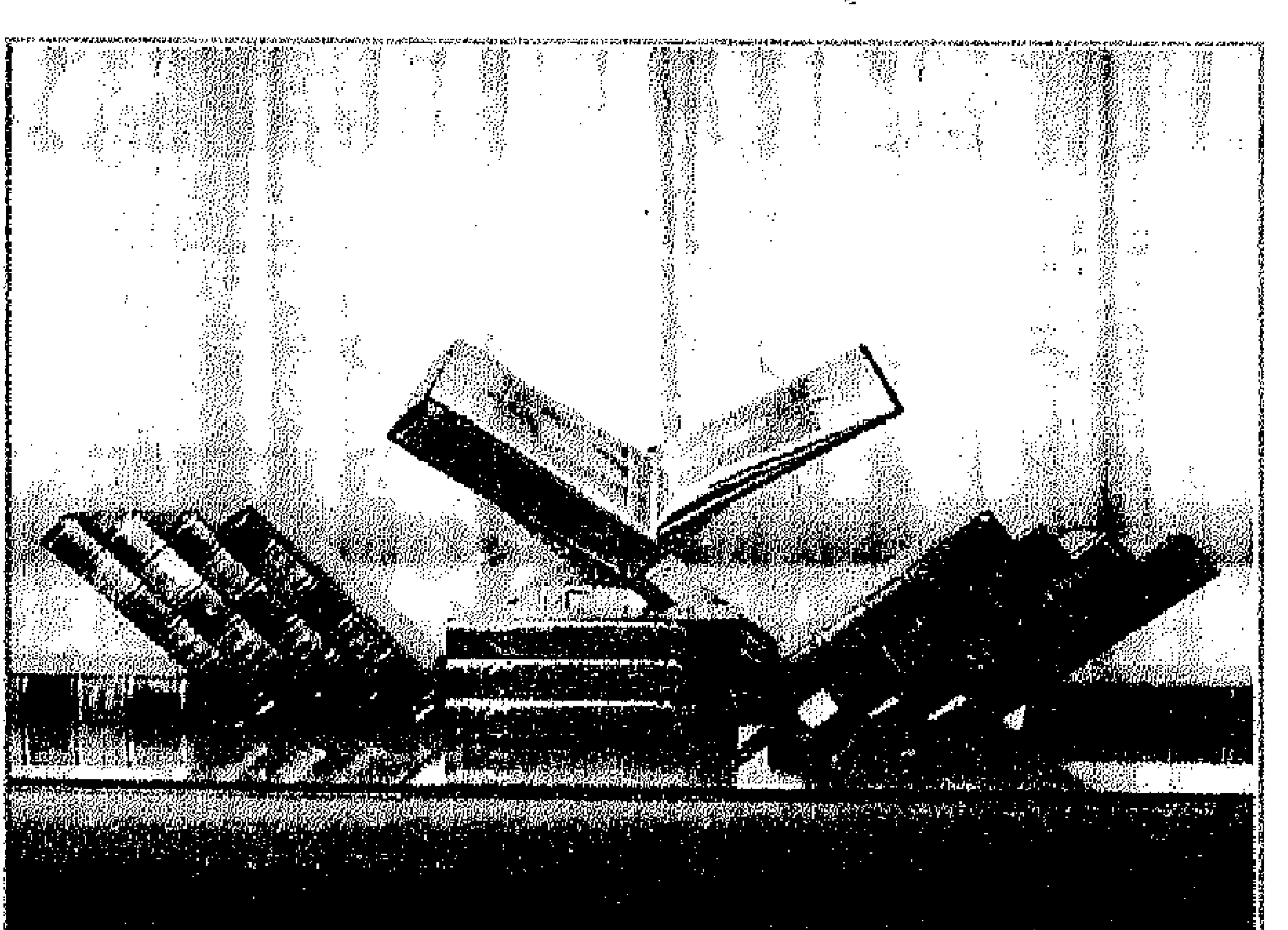
يسأل نفسه سؤالين: لمَ؟ وكيف؟ فإن كان الجوابُ: لله، وعلى طريقة رسول الله، فليتوكل على الله، وإنْ كان الجوابُ: لغير الله، وعلى غير طريقة رسول الله، فليُرح نفسه من عناء عمل لا يُسمنُ ولا يغني من جوع، وكذا لو كان أحد الجوابين مخالفًا والآخر موافقًا، لأنه لا بدّ من تحقق الجوابين الصحيحين: لله، وعلى طريقة رسول الله ﷺ.

«وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ أي هو العزيز العظيم، المنيع الجناب، وهو مع ذلك غفورٌ لمن تاب إليه وأناب بعدما عصاه وخالف أمره، وإن كان تعالى عزيزًا فهو مع ذلك يغفر ويرحم، ويصفح ويتجاوز» [تفسير ابن كثير ٣٩٦/٤]، لأنه سبحانه رحيم بعباده، لا يعنّتهم، ولا يحب أن يعذبهم، إنما يريدُ لهم أن يتيقظوا لغاية وجودهم وأن يرتفعوا إلى مستوى حقيقتهم، وأن يحققوا تكريم الله لهم، فإذا تم لهم هذا فهناك الرحمة السابغة، والعون الكبير، والسماحة الواسعة، والعفو عن كثير.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾، هذه أيضًا بعض آثار قدرته وتصرّفه في ملكه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، ومعنى كونهن طباقًا: أي سبع طوابق، بعضها فوق بعض، والراجح أنّ هناك مسافة بين كل سماء والتي فوقها، والدليلُ على ذلك حديثُ المعراج، وفيه أن جبريل كان يستفتح كل سماء، فإذا فُتحَ له، عَرجَ بالنبي ﷺ إلى التي فوقها، وهكذا. وفي حديث البراء بن عازب الطويل في وصف قبض الملائكة للأرواح، وأنها تعرج بروح العبد المؤمن، فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى التي تليها. الحديث.

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ فليس فيه خلل ولا نقص ولا اضطراب، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ مرةً بعد مرةٍ ﴿هَلْ تَرَى﴾ في خلق الرحمن ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ أي شقوق وخلل، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ فربما فاتك شيء في النظرة السابقة لم تتبينه، فأعد النظر ثم أعده، فالنتيجة واحدةٌ، وهي ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي كليل متعب، وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصًا، لأن السماء ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨]، وخلق ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:٧].

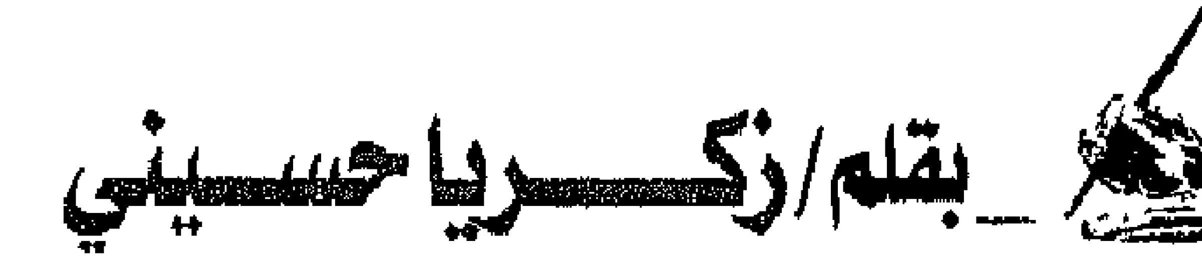


وللحديث بقية بإذن الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تعظيم الرسول ﷺ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»



بقلم/ زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب «واذكر في الكتاب مريم» برقم (٣٤٤٥) وفي كتاب الحدود مطولا باب «رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت» (٦٨٣٠) كما أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٥٤)، (١٦٤) ومطولا برقم (٣٩١)، وكذلك أخرجه الدارمي في السنن في كتاب الرقاق باب في «قول النبي ﷺ » «لا تطروني». برقم (٢٧٨٤).

راوي الحديث

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

مولده بمكة قبل الفجار الأخير بأربع سنين، وقيل مولده يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجة، أسلم عمر رضي الله عنه بعد تسعة وثلاثين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وكان إسلامه عزًا ظهر به الإسلام. قال أبو عمر بن عبد البر: ضرب رسول الله ﷺ صدر عمر رضي الله عنه ثلاث مرات وقال: «اللهم أخرج ما في صدر عمر من غلّ وأبدله إيمانا» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، وعن أبي هريرة وعقبة بن عامر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب».

وَلِي الخلافة بعد أبي بكر الصديق، واستمرت خلافته عشر سنين وستة أشهر، قتل لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، ودفن إلى جوار أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

شرح الحديث

قوله ﷺ : «لا تطروني»: قال في النهاية الإطراء مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه، جاء في لسان العرب: أطرى الرجل: أحسن الثناء عليه، وأطرى فلانٌ فلانا إذا مدحه بما ليس فيه.

والمقصود أنه ﷺ نهى أمته عن الكذب في مدحه برفعه فوق منزلته، كما فعلت النصارى بعيسى ابن مريم عليه السلام.

وأما رسولنا ﷺ فقد بين الله عز وجل أنه بشر، وأنه رسول مثل الرسل قبله؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم بإحسان يعظمون رسول الله ﷺ ويوقرونه ويعزرونه كما أمرهم الله عز وجل في كتابه وكما بين لهم رسولهم صلوات الله وسلامه عليه، فكانوا يأتون من ذلك كله الحق لا

يجاوزونه؛ فلا يرفعونه فوق منزلته التي أنزله الله إياها ولم يجعلوه شريكا لله يتصرف في ملك الله، ولا نسبوا إليه ما ليس بصحيح من أمور اعتقادية كأن يكون خلق من نور، أو أن الله خلق الخلق من أجله، أو ما شابه ذلك من الكذب والباطل الذي درج عليه المبتدعة وأهل الأهواء قديما وتابعهم عليه مبتدعة زماننا حديثا.

وانظر رحمني الله وإياك إلى ما رواه الترمذي في الشمائل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من أقرب الناس إليه - يصفه بالأوصاف البشرية التي تفوق كل البشر، ومع ذلك لا تخرجه عن كونه بشرًا صلوات ربي وسلامه عليه يقول: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس صدرًا وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعتُهُ: لم أر قبله ولا بعده مثله».

وأما قوله ﷺ: «فإنما أنا عبدُهُ» وفي رواية: «عبدٌ» أي عبدُ الله، فهو ﷺ يبين لنا أنه عبد لله مخلوق لله لا يرتفع عن منزلته التي أنزله الله تبارك وتعالى، والله عز وجل وصفه بوصف العبودية في أشرف الأحوال، فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف:١]، وقال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء:١]، وقوله: ﴿فقولوا عبد الله ورسوله﴾، أمرنا ﷺ أن نصفه بهذين الوصفين وصف العبودية لله، ووصف الرسالة، فهما أعظم وصف يوصف به المخلوق أن يكون عبدًا لله تعالى وهذا أشرف مقام للمخلوق مع خالقه، ثم وصف الرسالة الذي يتميز به عن عامة البشر، فإنه يعني أنه يوحى إليه من ربه فلذلك أمره ربه سبحانه أن يقول ذلك لأمته وللناس جميعًا أنه جمع الله تعالى له بين الوصفين، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠]، أي معلنا توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به فإن كان هو ﷺ عبدًا لله يوحي إليه الله بشرعه فإن الله واحد لا شريك له لا في الخلق ولا في الأمر، فينبغي أن يعظم ويحب ويؤله، إنما يكون الحب والتعظيم لمن أمر الله بحبه وتعظيمه وهو عبده ورسوله محمد ﷺ والصالحون من عباده، وهناك فرق عظيم بين الحب والعبادة التي يشرك فيها المبطلون بربهم رسوله أو أولياءه من رفع بعضهم فوق منزلته التي أنزله الله تعالى وصرف كثير من العبادات لغير الله تعالى سواء لرسوله أو لأوليائهم الذين يتخذونهم أندادًا من دون الله.

فحقوق الرسول ﷺ التي تقتضي منا القيام بها هي:

١ - الإيمان به ﷺ: قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن:٨].

وقال هو ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به»، ومعنى الإيمان به ﷺ التصديق بنبوته ورسالته، وأن كل ما جاء به وما أخبر به فهو صدق.

٢ - محبته ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

٣ - طاعته ﷺ: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وقال ﷺ: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه».

٤ - متابعته ﷺ: إن متابعة الرسول ﷺ عقيدة وعملا وقولا واجبة، بل هي الدين كله، ومخالفته في ذلك هي الخروج من الدين كله، قال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

ومن مظاهر هذه المتابعة

(أ) أن لا يبتدع المسلم بدعة، وألا يعمل ببدعة ابتدعها غيره مهما كان هذا المبتدع.

(ب) رد كل قول لقوله، وترك كل تشريع لشرعه، والإعراض عن كل ما خالف هديه في الاعتقاد

والقول والعمل.

(جـ) التمسك بالسنة الواجبة والمستحبة على السواء.

٥ - الاقتداء به ﷺ: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة، وكان أبي بن كعب رضي الله عنه يقول: «إن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وموافقة بدعة، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا واقتصادًا أن يكون على منهج الأنبياء وسنتهم».

٦ - توقيره ﷺ: وتوقير النبي ﷺ معناه تعظيمه وإجلاله والإكبار من شأنه ورفع قدره حتى لا يدانيه أحد من الناس وهذا واجب المسلم، وضد ذلك هو الاستخفاف به وهو كفر وخروج من ملة الإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح:٨، ٩].

فالتعزير النصرة والتأييد، والتوقير الإجلال والتعظيم.

ومن مظاهر توقيره

(أ) ما أرشد الله إليه في كتابه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات:١]، أي لا تقولوا قبل أن يقول، وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا.

(ب) وما أرشد الله إليه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]. فرفع الصوت عنده يدل على عدم توقيره وعدم الأدب معه، وكذلك الجهر بالقول له إذا خاطبوه وكلموه.

(جـ) عدم ندائه باسمه العلم «يا محمد» وإرشادهم أن يدعوه بلقب الرسالة والنبوة قال تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور:٦٣].

٧ - تعظيم شأنه: أي احترام كل ما له تعلق به، كاسمه وحديثه وسنته وشريعته وآل بيته وصحابته وأفراد أمته، إذ كل ذلك داخل تحت حرمات الله تعالى والله يقول: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج:٣٠]. ولقد بلغ الصحابة والتابعون وتابعوهم في ذلك مبلغا عظيما.

٨ - النصح له ﷺ: قال تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٩١]. وقال ﷺ: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله» فجعل ﷺ النصح له دينا، ومن النصيحة للرسول ﷺ:

(أ) التصديق بنبوته والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه.

(ب) شدة المحبة له ولآل بيته وجميع أصحابه.

(جـ) إبلاغ رسالته بعده ونشر دعوته وإقامة شريعته وإعزاز أهل ملته، وإذلال أهل بغضه وعداوته من الكائدين لدينه ولأمته وملته.

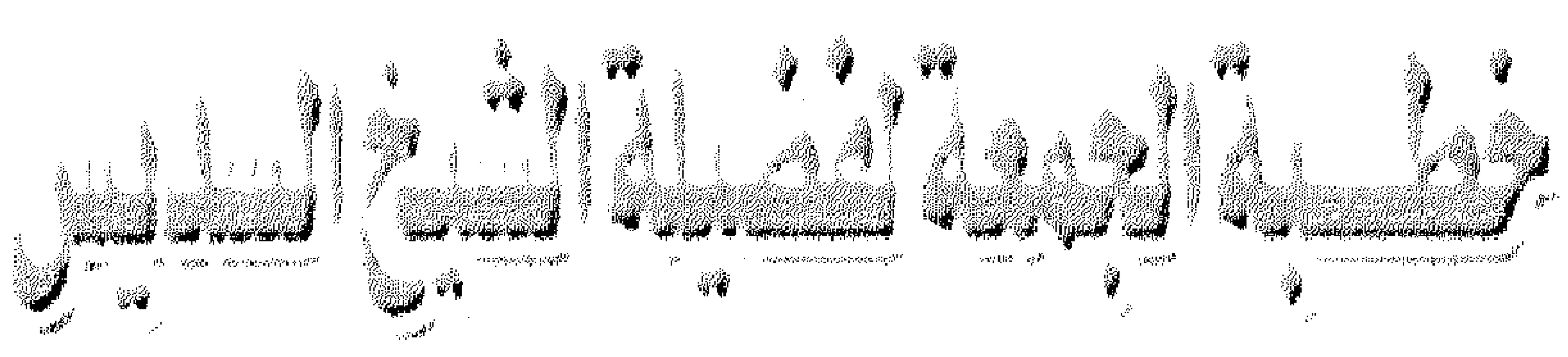
(٩) محبة آل بيته وصحابته: إذ محبة آل بيته ومحبة أصحابه من محبته، وما دامت محبته واجبة فمحبة ما يحب واجبة أيضا ويكفي في ذلك بعض الأحاديث التي وردت عنه ﷺ ومنها: «أنشدكم الله في أهل بيتي» وقوله ﷺ: «الله الله في أصحابي» إلى آخر ما جاء عنه ﷺ في هذا الشأن، ولقد كان الصحابة نعم من يعمل بذلك وينفذه.

(١٠) الصلاة عليه ﷺ: إن الصلاة عليه ﷺ من أوجب الواجبات، وهي واجبة بالقرآن والسنة والإجماع. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

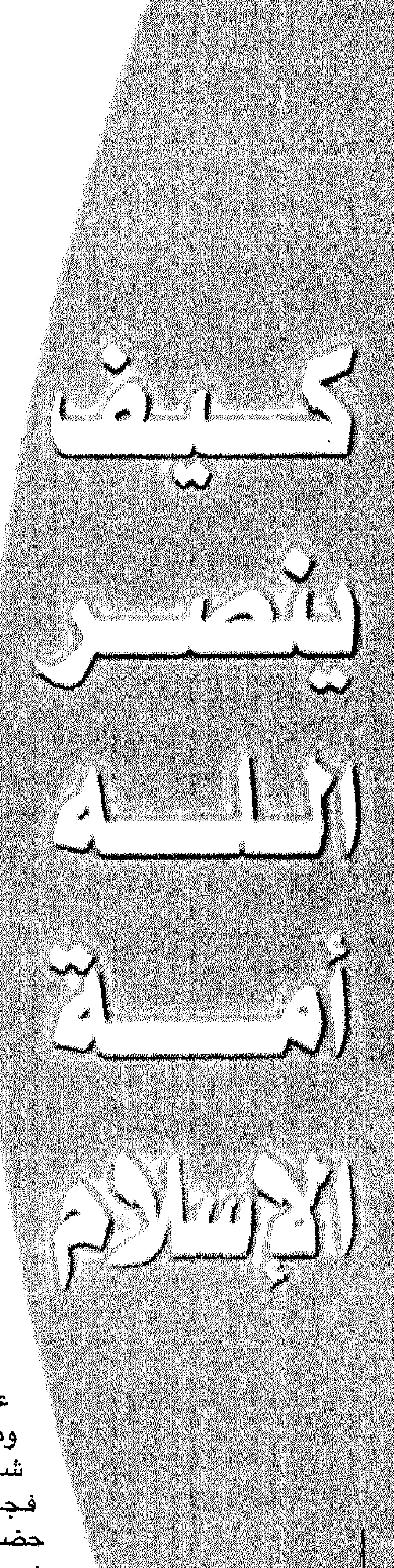
وقال ﷺ: «رغم أنف امرئ ذكرت عنده ولم يصل عليّ» وقال ﷺ: «وصلوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني» إلى غير ذلك من النصوص الدالة على ذلك.

وأخيرًا فأين المدعون لمحبته المحتفلون بيوم مولده من هذه الحقوق العشرة؟ إنهم أبعد الناس عن ذلك ولا سيما اتباعه والعمل بسنته، والنصح له ﷺ وطاعته. وما أيسر الكلام والادعاء، وما أصعب العمل والمتابعة.

نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق والسداد لجميع المسلمين. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



بمسجد التوحيد بمدينة العاشر من رمضان



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

فإن هذه الخطبة الجامعة، ألقاها فضيلة الشيخ/ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب بيت الله الحرام بمكة المكرمة يوم الجمعة ١٩ صفر ١٤٢٥هـ بمسجد التوحيد بمدينة العاشر من رمضان بمصر.

وقد بين فيها - حفظه الله - سبل خروج الأمة من أزمتها، ووسائل تحصيل نصر الله تعالى، مجيبا بذلك عن التساؤلات التي تختلج في صدور الغيورين من أهل الإسلام.

وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر عامة؛ ولسان دعوتها مجلة التوحيد خاصة إذ تقدم الخطبة لقراء المجلة؛ لا تنسى في هذا المقام تقديم الشكر والامتنان لرجال الأمن في مدينة العاشر من رمضان الذين كانوا على أعلى مستوى من المسئولية والكفاءة والنظام لتسهيل أداء الوفود الحاشدة لفريضة الجمعة وسماع خطبة ضيف مصر المباركة، كما تشكر القائمين على مسجد التوحيد بالمدينة لما قاموا به من أعمال ولما بذلوه من جهود، كما نخص بالشكر فضيلة الدكتور سيد عبد الحليم - حفظه الله - الذي كان سببا في وفود فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس ضيفا على أهل مصر أكثر من مرة ونسأل الله تعالى المزيد من فضله، وإلى الخطبة حياكم الله.

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإنها وصيته سبحانه وتعالى للأولين والآخرين، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

أيها المسلمون، سر هذه الأمة وسعادتها وصلاحها وهدايتها منوط بتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

معاشر المسلمين: لقد بعث الله نبيه محمدًا بالهدى ودين الحق فبلغ عليه الصلاة والسلام رسالة ربه، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وما مات عليه الصلاة والسلام إلا وقد دل أمته على كل خير وحذرها من كل شر، ثم حمل لواء الدعوة بعده عليه الصلاة والسلام صحابته الكرام، فجاهدوا في الله حق جهاده ودعوا إلى دين الله تبارك وتعالى وانطلقت حضارة الإسلام ورفرفت رايتها على جميع أقطار المعمورة، كل ذلك بفضل الله عز وجل ثم بجهاد الصحابة رضي الله عنهم، ثم إنه بعد القرون الأولى المفضلة دبت في الأمة المحن، وكثرت فيها الفتن، واتبعت الأهواء، وأعرض كثير من الناس

عن نور الوحيين كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وتمضي الأيام والسنوات والقرون، وترسو سفينة هذه الأمة على شاطئ واقعنا المعاصر وعالمنا الحاضر، وقد آل أمر هذه الأمة إلى ما يراه الغيورون ضعفًا من داخلها وتحديات من خارجها، وتساءل المحبون الغيورون عن سبل النجاة وعن طريق الخلاص.

إن ذلك كله مرهون بتمسك الأمة بما تمسك به الأوائل، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، إن هناك أمورًا متعددة تمثل زمام الأمر وطوق النجاة لهذه الأمة في الخروج من مآزقها وأزماتها، ومحنها ونكباتها.

أولاً: التوحيد الخالص سبب نصر الأمة

أول هذه القضايا وأساسها وأصلها وأهمها وأعظمها توحيد رب العالمين والقيام بعبودية الله عز وجل التي هي سر وجودنا في هذه الحياة، يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.

فواعجبا كيف يُعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

التوحيد حق الله على العبيد، فالخلق لله والأمر لله: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

إن الإيمان بالله عز وجل وتوحيده وطاعته والاستقامة على شرعه وتقواه حق تقاته سبيل الخلاص.

ثانياً: تقوى الله والإيمان بربوبيته

الإيمان بربوبية الله عز وجل وتحقيق التقوى كما شرع الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، بالإيمان والتقوى تتحقق الخيرات وتحل البركات وترتفع الذنوب والآفات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...﴾.

ثالثاً: العناية بالقرآن

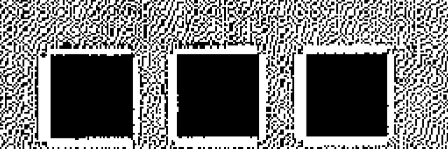
العناية بالقرآن الكريم والتمسك بكتاب الله عز وجل فيه الهداية، والتي هي أقوم من كل أمر من أمور الحياة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾، ينبغي أن تستقيم أمورنا وتتشبع نفوسنا بكتاب الله حفظًا وتدبرًا وعملاً وسلوكًا وفكرًا.

رابعاً: التمسك بالسنة المحمدية

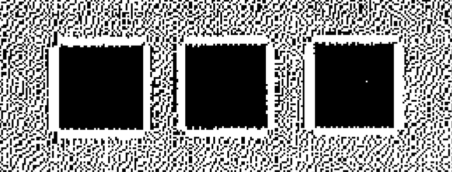
التمسك بالسنة، سنة الحبيب رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾. لا عز للأمة إلا باتباع نبيها محمد صلى الله عليه وسلم القائل: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

إن حفظ الدين مقصد من مقاصد هذه الشريعة الغراء ولا يمكن أن تنصر هذه الأمة إلا بتمسكها بالكتاب والسنة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، ويقول ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». إن نصرة السنة والعناية بها تاج على رءوس أهل الإسلام، كل منا يحب الله عز وجل ويحب رسوله ﷺ، ومقتضى هذا اتباع كتاب الله وأمر رسول الله ﷺ، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ولهذا فإن الأمة جمعاء مطالبة بنصرة سنة رسول الله ﷺ اتباعًا والتزامًا وبعدًا عن المحدثات

نحن في حاجة ماسة إلى أن تسلم قلوبنا وأن تتوحد صفوفنا وأن نكون أمة واحدة ضد أعداء أمتنا.



مهما تربصت الصهيونية العالمية بالإسلام والمسلمين فالنصر قادم بإذن الله ﴿والله غالب على أمره﴾.



علينا أن نتعاون جميعًا على دفع سفينة هذه الأمة أمام هذه الأمواج والفتن العاتية التي تريد أن تنحرف بها عن جادة الصواب.

والمخالفات.

خامسًا: العلم النافع

ومما يكون سببًا في خروج الأمة من أزماتها ونكباتها العلم النافع: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾.

العلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والعلم الذي تحتاج إليه الأمة في كل مجالاتها وفي كل أزمانها وأماكنها.

سادسًا: إتباع العلم بالعمل

إتباع العلم بالعمل لقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾، والعمل الصالح يبدأ بتوحيد الله عز وجل والمحافظة على هذه الصلوات الخمس والعناية بأركان الدين والحذر كل الحذر مما حرم الإسلام، فالمسلم حريص كل الحرص على أن يعمل الصالحات في هذه الحياة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

سابعًا: التخلق بالأخلاق الحسنة والشمائل النبيلة

يقول الله عز وجل في حق رسوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. وعلى كل مسلم أن يحفظ لإخوانه في الدين أموالهم وأعراضهم وأن يكف عن أذاهم وأن يسلم قلبه لله عز وجل، وأن يُسَلِّم قلبه لعباد الله وإخوانه في الله تبارك وتعالى.

ذكر الحافظ ابن كثير: أن رجلاً ذكر رجلاً بسوء عند أحد الصالحين فقال له: أغزوت الروم. قال: لا. قال: أغزوت الفرس؟ قال: لا. قال: أغزوت الترك؟ قال: لا. قال: أيسلم منك الروم والفرس والترك ولا يسلم منك أخوك.

فنحن بحاجة ماسة إلى أن تَسْلَم قلوبنا وأن تتوحد صفوفنا على أعدائنا وأن نكون أمة واحدة كما أراد الله عز وجل.

ثامنًا: جمع الكلمة والحذر من الفرقة

وذلك بتحقيق أخوة الإسلام والعناية بجمع كلمة المسلمين، والحذر من التفرقة والاختلاف: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾.

فلماذا الخلاف؟ والرب واحد والنبي ﷺ الخاتم واحد، والقِبلة واحدة، فينبغي على المسلمين أن يتقوا الله عز وجل وأن يحذروا من الخلافات التي تمزق صفوفهم وتثير العدو ضدهم.

تاسعًا: العناية بشأن الأسرة والشباب والمرأة

فكلٌ له حق في هذه الشريعة، فينبغي أن يُعتنى بترتيبهم تربية إسلامية صحيحة انطلاقًا من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

عاشرًا: الثقة بالله عز وجل وبنصره

فهو سبحانه ناصرٌ دينه ومعزٌ أولياءه، مهما طال الزمان أو قصر، ومهما احلولكت الظلمات فالفجر قادم بإذن الله والمستقبل للإسلام وأهله، مهما سعت الصهيونية العالمية للوقيعة بين أهل الإسلام، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

ديننا وأمتنا وسط

إنه مما ينبغي أن يلتزم به المسلم منهج الوسطية في هذا الدين، يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، فلا غلو في دين الله، ولا جفاء، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، إن كل مسلم يؤرقه ما آل إليه أمر أمة الإسلام في فلسطين والعراق وفي أجزاء كثيرة من الأمة، لكن ينبغي أن يكون واثقًا بنصر الله، يقول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾.

وينبغي أن تتوحد كافة الجهود وكل القنوات في خدمة دين الله عز وجل؛ الولاة والعلماء والزعماء والقادة والدعاة والمصلحون والإعلاميون ورجال التربية والتعليم، وحملة الأقلام والفكر والثقافة، كل أولئك يسيرون في سفينة واحدة هي سفينة هذه الأمة، أمة محمد ﷺ، وكل خرق في السفينة سيغرقها ولا شك، فعلينا أن نتعاون جميعًا: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾.

دين عالمي وأمة معطاءة

بُعث ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، وإننا ولله الحمد والمنة نجد في طول البلاد وعرضها وفي عالمنا الإسلامي كله، نجد هذا الخير موجودًا، ونجد في هذه الأمة المباركة الحرص على الإسلام وأهله، وكل

ذلك ولله الحمد والمنة، ليس بغريب على هذه الأمة، فأمة الإسلام أمة معطاءة، تقف أمام التحديات، فإن فيها والحمد لله من يجدد لها دينها، فعلينا الجد والعمل، وعلى الله سبحانه وتعالى التوفيق، والسداد والنصر والتمكين: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

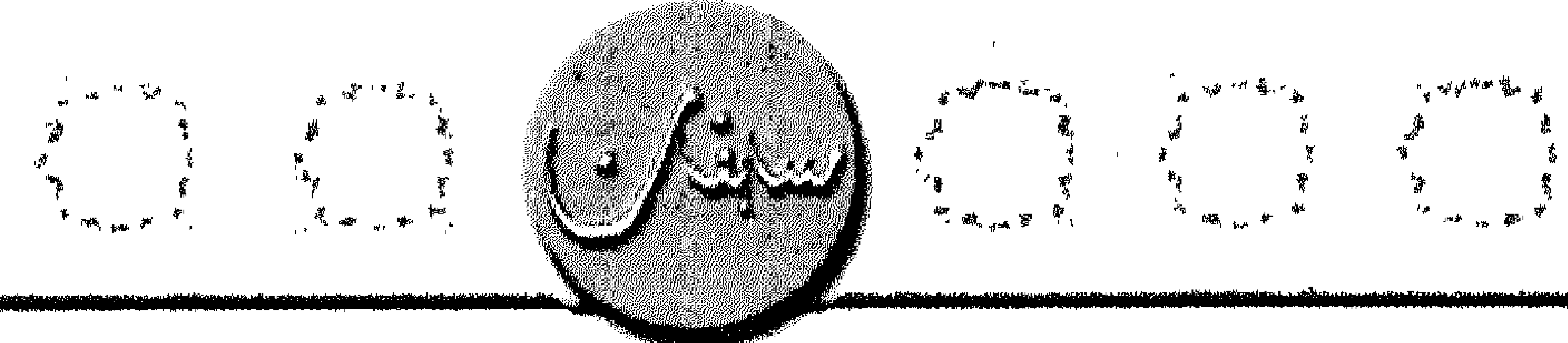
والمسلمون في كل مكان يتعرضون لحملات إعلامية مغرضة، فالوقوف أمام هذه المعارك يكون بصدق انتمائنا لهذا الإسلام، وبتطبيق إسلامنا تطبيقًا صحيحًا على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ، داعين للخير والسلام والوئام، ليس للمسلمين فقط بل للإنسانية جميعًا؛ لأن رسالة الإسلام رسالة عالمية، ونحن مطالبون أن نكون بحسن أخلاقنا ونبل شيمنا محققين ذلك إلى خُلق إسلامي عظيم، نحب الخير للناس، ونرد الشر والفتن عن العباد والبلاد، هذا هو منهج المسلم.

ولقد رأينا ولله الحمد والمنة في إخواننا في مصر الإسلام ومصر الإيمان هذه الهمة العالية وهذه العاطفة المجبولة على حب الإسلام وأهله وبلاد الحرمين وأهلها.

ثم الدعاء الدعاء... ينبغي أن نتسلح جميعًا بسلاح الدعاء.

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.

أصلح الله الحال والمآل، ووفق الجميع لما فيه الخير في الدارين والسعادة في الحياتين وحفظ أمة الإسلام من شرور الفتن والمحن، إنه جواد كريم.



[illegible] محمد صفوت نور الدين رحمه الله في القرآن والسنة

المستوى الأول:

- أن لا يزيد سن المتسابق عن ٣٠ عاما.
- حفظ أربعة أجزاء من أول القرآن إلى نهاية الجزء الرابع.
- تفسير الربع الأول والثاني من أول سورة النساء.
- حفظ الأحاديث من ١٠١ إلى ٢٠٠ من صحيح البخاري من (كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيدي).
- الاستماع إلى شريط «وقفة محاسبة» للشيخ صفوت نور الدين - رحمه الله -.

المستوى الثاني:

- أن لا يزيد سن المتسابق عن ١٨ عاما.
- حفظ جزئي تبارك وعم.
- تفسير سورة الملك.
- حفظ الأحاديث من ٥١ إلى ١٠٠ من (كتاب مختصر صحيح مسلم للمنذري).
- الاستماع إلى شريط «دور المسجد في تربيا الفرد والأسرة».

■ تسجَّل الأسماء وتسدد الاشتراكات في كل فرع ثم تورد بمعرفة مندوب الفرع إلى إدارة شئون القرآن بالمركز العام، أو مُجمع التوحيد ببلبيس.

■ قيمة الاشتراك ١٥ جنيه للمستوى الأول، ١٠ جنيه للمستوى الثاني.

■ آخر موعد لقبول الطلبات يوم السبت ٣١ / ٧ / ٢٠٠٤م

موعد الامتحان يوم الثلاثاء ٣١ / ٨ / ٢٠٠٤م بمسجد بلبيس ابتداءً من الساعة التاسعة صباحًا.

المخيم الربيعي الثامن عشر لجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت يختتم فعالياته

المنهج السلفي سبيل النجاة من الفتن

الكويت - علاء الدين مصطفى

اختتمت جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت مخيمها الربيعي الثامن عشر والذي انعقد تحت عنوان: المنهج السلفي سبيل النجاة من الفتن، وقد تشرفت الجمعية باستضافة كوكبة من المشايخ والعلماء.

وفي بداية حفل الافتتاح ألقى الشيخ/ طارق العيسى - رئيس مجلس إدارة جمعية إحياء التراث الإسلامي - كلمة بهذه المناسبة - بعد أن رحب بالشيوخ الأفاضل، والحضور أوضح فيها: أن الإسلام اليوم يواجه حرباً ضروساً، مما يستوجب أن تضع الأمة الإسلامية شعوباً وحكاماً الخطط الكفيلة بمواجهتها.

● بعد ذلك بدأت أولى محاضرات المخيم والتي كانت بعنوان: (منهجية السلف في تلقي العلم)، حيث تحدث في بدايتها الشيخ/ د. جمال المراكبي - رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر - حول (الأصول العامة التي تلقى منها السلف هذا العلم)

● وأكد د. المراكبي أنه يجب على كل مسلم عاقل اتباع منهج السلف في العقيدة والسلوك لأن الأمة الإسلامية مرت بمرحلتين: أولها مرحلة الاجتماع على الإيمان قبل أن تظهر المقالات المنحرفة والفرق الضالة.

والمرحلة الثانية: مرحلة الاختلاف في الدين والتنازع واتباع الأهواء المضلة، وظهور مقالات الخوارج والمرجئة والقدرية وغيرها من المقالات الفاسدة التي لم يقل بها أحد من السلف الصالح. بل أنكروها وردوها.

● بعد ذلك تحدث الشيخ/ حسين العوايشة (الأردن) حول فضل العلم والعلماء، فقال: إذا تأملنا قوله ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء)، نجد أن وراثة الأنبياء لا تحد بحدود، ولا تقيد بقيود، وليست محصورة في جنس أو لون، أو عرق، ولا في أي اعتبار من الاعتبارات، فهذا الحديث بطاقة مفتوحة لكل مخلص وصادق ليكون من ورثة النبي ﷺ.

ونحن نسير في خطواتنا لا بد أن نقدم النقل على العقل والهوى.

وضمن فعاليات المخيم في يومه الثاني ألقى الشيخ د. عبدالسلام بن برجس العبدالكريم الأستاذ في المعهد العالي للقضاء في المملكة العربية السعودية محاضرة بعنوان «أصول المخالفين لمنهج السلف». أكد فيها أن أصول المخالفين لأهل السنة والجماعة هشة لأنها لا تعتمد على وحي من الله عز وجل، وإنما تعتمد على خيال وأوهام ولذلك لا تطمئن إليها قلوب أهل الإيمان.

● وذكر الشيخ أن المخالفين خدم لإبليس، وإبليس لا يريد للأمة أن تجتمع.

● من جانبه، تحدث الدكتور وليد الربيع الأستاذ في كلية الشريعة - جامعة الكويت فألقى الضوء على بعض مصادر التلقي عند المناهج المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

وأكد أن كل فريق قد أصّل لنفسه أصل دين وضعه إما برأيه وقياسه الذي يسميه «عقليات»، أو بذوقه وهواه الذي يسميه «ذوقيات»، أو بما يتأوله من القرآن ويحرّف فيه الكلم عن مواضعه، ويقول: إنه إنما يتبع القرآن كالخوارج، وإما بما يدعيه من الحديث والسنة ويكون كذباً وضعيفاً كما يدعيه الروافض من النص والآيات، وكثير ممن يكون قد وضع دينه برأيه أو ذوقه يحتج من القرآن بما يتأوله على غير تأوله، ويجعل ذلك حجة لا عمدة، وعمدته في الباطن على رأيه.

في اليوم الثالث للمخيم تحدث الدكتور عبدالرزاق البدر الأستاذ بكلية الشريعة بالمدينة المنورة حول الأمن من الفتن، وأن منهج السلف الصالح هو سبيل تحقيق هذا الأمن.

● وقال د. العباد إن الأمن منّة ربانية ومنحة إلهية؛ فالمسلم يعلم أن الأمن عند الله تعالى فلا يطلب إلا منه، ولذلك يسعى المسلم لتحصيل الأمن بالوسائل الشرعية، وعجبا لمن يظن أن تحكيم الدين هو سبب القلق والاضطراب في الأرض.

● ثم تحدث بعد ذلك الدكتور عادل المطيرات الأستاذ في كلية الشريعة جامعة الكويت حول الموضوع نفسه مؤكداً أن أعظم وسيلة للمحافظة على أمن البلاد والمحافظة على هويتها الشرعية، وحفظها من البلاء والهلاك أداء الفريضة العظيمة التي فرضها الله سبحانه وتعالى، ألا وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي هي سياج الأمة الذي يحفظها من كل سوء بإذنه سبحانه.

وفي ختام المخيم ، وفي محاضرة بعنوان «الفكر الخارجي المعاصر.. مظاهره ومفاسده» تحدث فضيلة الشيخ عبدالمحسن العبيكان عن إثارة الفتن والقيام بأعمال التخريب، فأشار إلى أن هذا العمل لا يقره الشرع ولا يقبله العقل.

وأكد أن من يقوم بأعمال التخريب وزعزعة أمن البلاد يتسبب في أضرار كبيرة للمسلمين.

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

إعداد / علي حشيش

٦١- «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ فيها، يَزِلُّ بها في النَّارِ أبعدَ ما بيْنَ المَشْرِقِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٢- «لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ واحدٍ مَرَّتَيْنِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٣- «أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُحدِّثُ حديثًا، لَو عَدَّه العادُّ لأَحْصَاهُ».

[متفق عليه من حديث عائشة]

٦٤- «أَخْنَعُ(١) الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسمَّى بِمَلِكِ الأملاك».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٥- «سَمُّوا باسْمِي ولا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٦- «العائد في هِبَتِهِ كالْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ في قَيْئِهِ».

[متفق عليه من حديث ابن عباس]

٦٧- «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمالِها ولحَسَبِها وجَمَالِها ولِدِينِها، فاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّين، تَرِبَتْ يَدَاكَ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٨- «يَكْبَرُ ابنُ آدَمَ ويَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَتانِ: حُبُّ المالِ وطُولُ العُمُرِ».

[متفق عليه من حديث أنس]

٦٩- «ما يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حتى يأتيَ يَوْمَ القِيَامَةِ ليس في وَجْهِهِ مُزْعَةُ(٢) لحْمٍ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٠- «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِن اليَدِ السُّفْلَى، فاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، والسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧١- «لا تَصُومُ المَرْأَةُ وبَعْلُهَا شَاهِدٌ، إلا بإذْنِهِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٢- «مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ». [متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة]

٧٣- «نُصِرْتُ بالصَّبَا(٣) وأُهْلِكَتْ عَادٌ بالدَّبُورِ(٤)».

[متفق عليه من حديث ابن عباس]

٧٤- «إذا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٥- «إذا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَنْصِتْ، والإمامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٦- «مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ ورَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أو رَاحَ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٧- «مَن سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، ومَنْ يُرَائي يُرَائي اللهُ بِهِ».

[متفق عليه من حديث جُنْدَب]

٧٨- «لا تَسُبُّوا أصْحَابِي، فَلَوْ أنّ أحَدَكُم أنْفق مِثْلَ أحدٍ ذهَبًا مَا بَلَغ مُدّ(٥) أحدِهِم ولاَ نَصِيْفَهُ(٦)». [متفق عليه من حديث أبي سعيد]

٧٩- «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ قَاطعٌ(٧)». [متفق عليه من حديث جبير بن مُطْعِم]

٨٠- «لَيسَ الشّدِيدُ بالصُّرَعَةِ(٨)، إنَّما الشّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عندَ الغضبِ».
[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٨١- «مازَالَ جبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظَنَنتُ أنَّهُ سَيُورِّثُهُ».
[متفق عليه من حديث عائشة]

٨٢- «مَن أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، ومَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».
[متفق عليه من حديث أبي موسى]

٨٣- «يُسْتَجابُ لأحَدِكُم مَا لَمْ يَعْجَل. يقولُ دَعْوتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لي».
[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٨٤- «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجالِ مِن النِّسَاءِ».
[متفق عليه من حديث أسامة]

٨٥- «إنَّ اللهَ يَغَارُ، وغَيْرَةُ اللهِ أنْ يأتيَ المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ».
[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٨٦- «بُعِثْتُ والسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ(٨)». [متفق عليه من حديث أنس]

٨٧- «التَّثَاؤُبُ مِن الشَّيْطَانِ، فإذا تَثَاءَبَ أحَدُكُم فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ».
[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

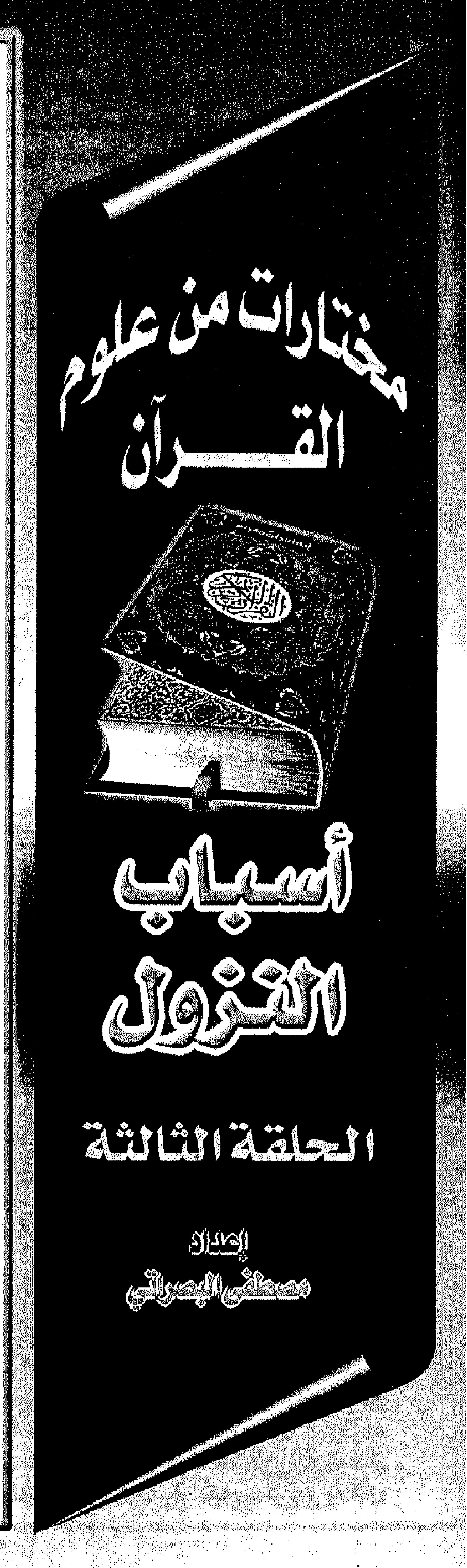
٨٨- «إذا كُنْتُم ثَلاثَةً، فلا يَتَنَاجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ أجْلِ أنَّ ذلك يُحزِنُه». [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٨٩- «رُؤْيَا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وأربعَينَ جُزْءًا مِن النُّبُوةِ».
[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٩٠- «اهْتَزَّ العرشُ لموتِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ». [متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله]

والبقية العدد القادم إن شاء الله تعالى.

١- أخنع: أذلّ.
٢- مُزعةُ: قطعة.
٣- الصَّبا: ريح من قبل ظهر القِبْلة.
٤- الدبور: ريح قبل القبلة.
٥- مُدٌّ: كَيْل. ومقداره ربع صاع.
٦- نَصيفه: نِصْفَه.
٧- الصُّرَعَةِ: القوى.
٨- قاطع: أي قاطع رحمه.



ثالثًا: تعدد نزول الآيات لسبب واحد

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن ولاه. وبعد:

فقد وقفنا في الحلقتين السابقتين مع علم أسباب النزول، وذكرنا قسميه وكيفية معرفته أو استخراجه من النقل الصحيح، وصور تعدد الروايات في نزول آية واحدة.

وفي هذه الحلقة إن شاء الله نكمل الحديث بذكر صورة أخرى من صور أسباب النزول وهي: تعدد نزول الآيات لسبب واحد.

قد يكون أمرٌ واحدٌ سببًا لنزول آيتين أو آيات متعددة ولا مانع من ذلك، لأنه لا ينافي الحكمة في إقناع الناس، وهداية الخلق، وبيان الحق عند الحاجة، بل إنه قد يكون أبلغ في الإقناع وأظهر في البيان.

مثال السبب الواحد تنزل فيه آيتان، ما أخرجه ابن جرير الطبري والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظلِّ شجرة، فقال: «إنه سيأتيكم إنسانٌ ينظرُ إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلمُوه، فلم يَلْبَثُوا أن طلع رجلٌ أزرقُ العينين، فدعاهُ رسول الله ﷺ فقال: علام تشتُمني أنت وأصحابُك، فانطلق الرجلُ فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم». فأنزل الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

وأخرج الحاكم وأحمد هذا الحديث بهذا اللفظ وقالا: فأنزل الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٨- ١٩].

ومثال السبب الواحد ينزل فيه أكثر من آيتين ما أخرجه الحاكم والترمذي عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وأخرج الحاكم أيضًا عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله، تذكرُ الرجال ولا تذكر النساء، فأُنزلت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وأنزلت: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وأخرج الحاكم أيضًا أنها قالت: تغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]، وأنزل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

خصوص السبب وعموم اللفظ:

قال الزركشي في البرهان: «وقد يكون السبب خاصًا والصيغة عامة، لينبّه على أن العِبرة بعموم اللفظ». وقال الزمخشري في تفسير سورة الهمزة: يجوز أن يكون السبب خاصًا والوعيد عامًا ليتناول كلَّ من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريًا مجرى التعريض بالوارد فيه، فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه. اهـ.

فإذا نزلت الآية لسبب خاص، ولفظها عام كان حكمها شاملاً لسببها، ولكل ما يتناوله لفظها، لأن القرآن نزل تشريعًا عامًا لجميع الأمة فكانت العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه. مثال ذلك: آيات اللعان، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦- ٩] .ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدٌ في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور: ٦]، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٩] الحديث. فهذه الآيات نزلت بسبب قذف هلال بن أمية لامرأته، لكن حكمها شامل له ولغيره، بدليل ما رواه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن عويمر العجلاني جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً يقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال النبي ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك». فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه، فلاعنها. الحديث. فجعل النبي ﷺ حكم هذه الآيات شاملاً لهلال بن أمية وغيره.

تقدم نزول الآية على الحكم:

ذكر هذا النوع الزركشي فقال: «واعلم أنه قد يكون النزول سابقًا على الحكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾» [الأعلى: ١٤]، فإنه يُستدل بها على زكاة الفطر. روى البيهقي بسنده إلى ابن عمر أنها نزلت في زكاة رمضان، ثم أسند مرفوعًا نحوه.

وقال بعضهم: لا أدري ما وجهُ هذا التأويل لأن هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة. وأجاب البغوي في تفسيره بأنه يجوز أن يكون النزول سابقًا على الحكم كما قال تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم فتح مكة، حتى قال عليه السلام: «أُحلّتْ لي ساعةً من نهار». وكذلك نزل بمكة: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري أيُ الجمع يُهزم، فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر».

فوائد معرفة أسباب النزول:

معرفة أسباب النزول مهمة جدًا، لأنها تؤدي إلى فوائد كثيرة، منها:

١- بيان أن القرآن نزل من الله تعالى، وذلك لأن النبي ﷺ يسأل عن الشيء فيتوقف عن الجواب أحيانًا، حتى ينزل عليه الوحي، أو يخفى عليه الأمر الواقع فينزل الوحي مبينًا له.

مثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت، وفي لفظ: فأمسك النبي ﷺ، فلم يرد عليهم شيئًا، فعلمت أنه يُوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

ففي صحيح البخاري أن زيد بن أرقم رضي الله عنه سمع عبد الله بن أبي رأس المنافقين يقول ذلك يريد أنه الأعزُّ ورسول الله ﷺ وأصحابه الأذل، فأخبر زيد عمه بذلك، فأخبر به النبي ﷺ فدعا النبي ﷺ زيدًا، فأخبره بما سمع، ثم أرسل إلى عبد الله بن أُبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تصديق زيد في هذه الآية، فاستبان الأمر لرسول الله ﷺ.

٢- بيان عناية الله تعالى برسوله ﷺ في الدفاع عنه:

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، وكذلك آيات الإفك، فإنها دفاع عن فراش النبي ﷺ عما دنّسه به الأفاكون.

٣- بيان عناية الله تعالى بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غمومهم:

مثال ذلك آية التيمم، ففي صحيح البخاري أنه ضاع عِقدٌ لعائشة رضي الله عنها وهي مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأقام النبي ﷺ لطلبه، وأقام الناس على غير ماء، فشكوا ذلك إلى أبي بكر، فذكر الحديث، وفيه: فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال

أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. والحديث في البخاري مطولاً.

٤- فهم الآية على الوجه الصحيح وإزالة الإشكال أو التعارض المتوهم فيها مع غيرها:

فمعرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يعرف سبب نزولها. قال ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن». وقال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، أي: يسعى بينهما، فإن ظاهر قوله: ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أن غاية أمر السعي بينهما، أن يكون من قسم المباح. وفي صحيح البخاري عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] إلى قوله: ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وبهذا عرف أن نفي الجناح ليس المراد به بيان أصل حكم السعي، وإنما المراد نفي تحرجهم بإمساكهم عنه، حيث كانوا يرون أنهما من أمر الجاهلية، أما أصل حكم السعي فقد تبين بقوله: ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وقالت عائشة رضي الله عنها: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما- أي شرع ذلك- فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

ومن أمثلة فوائد معرفة أسباب النزول في إزالة الإشكال والتعارض قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، فظاهر هذه الآية يفيد أن للمصلي أن يتوجه في صلاته إلى حيث يشاء دون التقيد بجهة القبلة، وذلك يتعارض مع الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤]، لكن هذا التعارض يزول حينما يعرف سبب نزول الآية الأولى وهو ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة حيثما توجهت به راحلته تيسيرًا له في التطوع بالنافلة وتيسيرًا عليه في الأداء، لأنه لو ألزم بجهة القبلة كالفريضة لاضطر إلى التوقف عن المسير أو الامتناع عن التطوع وفي كليهما من الحرج ما لا يخفى.

ومثال آخر على إزالة الإشكال والتعارض، تحريم المعنى المراد من الآية ما روى أن مروان بن الحكم وقف عند قوله تعالى: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، وأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يقول: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذب، لنعذبن أجمعون.

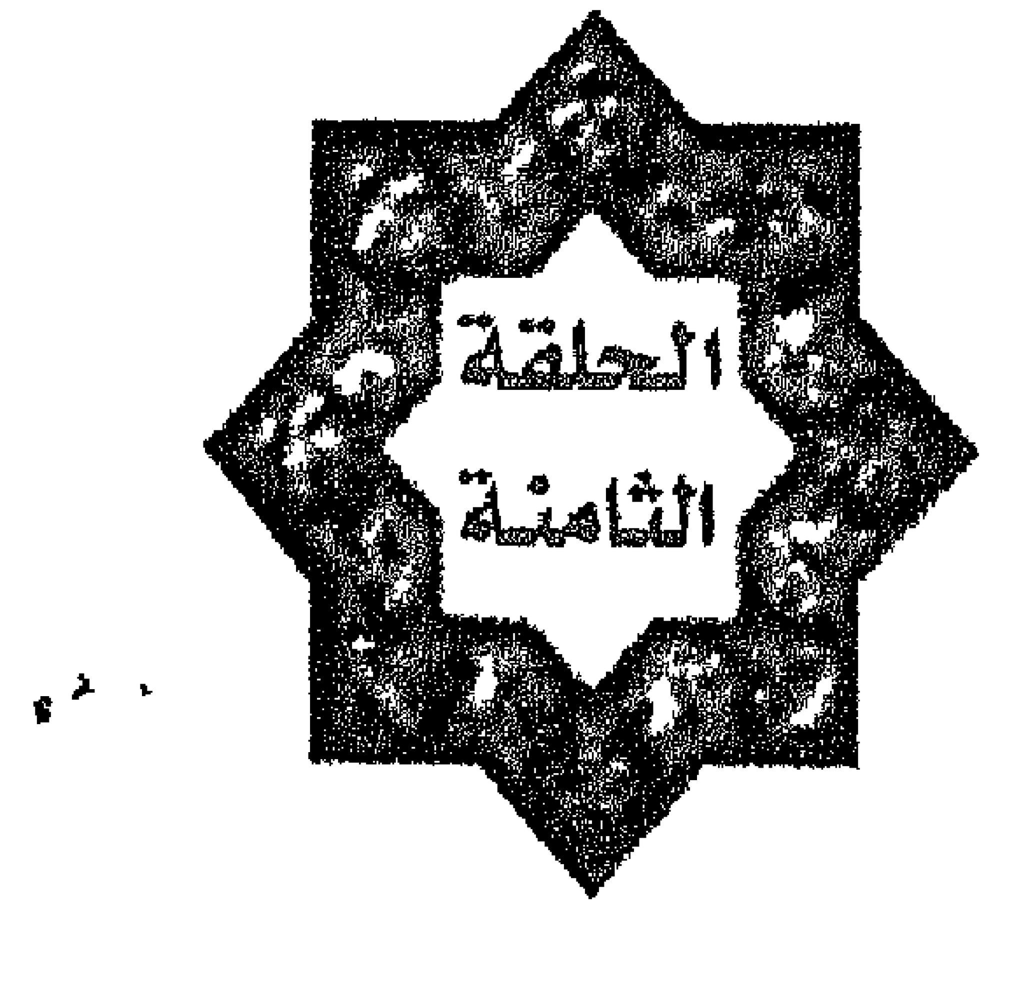
فأجابه ابن عباس رضي الله عنهما ببيان سبب نزول الآية وأنها نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، متظاهرين أنهم أخبروه بما سألهم عنه، وامتنوا عليه بذلك طالبين أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

٥- من هذه الفوائد لأسباب النزول- دفع توهم الحصر فيما يوهم ظاهره ذلك- مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فظاهر نص هذه الآية الكريمة يفيد حصر المحرمات في هذه الأربع المذكورة فيها، بينما جاءت آيات أخر تعدد المحرمات في أكثر من ذلك، مثل آية سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، وقد تمسك بعض الأئمة بظاهر الحصر في نص الآية الأولى قائلاً بعدم وجود شيء من المحرمات إلا ما كان من هذه الأربع الواردة في الآية، وأنها نزلت في دحض افتراءات الكفار الذين أحلوا هذه الأنواع من المحرمات بينما يحرمون ما أحل الله فيما زعموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الحسن ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية.

٦- بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.







بقلم / معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

عرضنا في الحلقة السابقة لأول الأسباب التي أدت إلى الابتداع في دين الله عز وجل، وذكرنا من ذلك اتباع الهوى والاستدلال ببعض النصوص دون النظر في غيرها، وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه، فنقول مستعينين بالله عز وجل:

ثالثًا: الجهل بعلوم الشريعة:

الجهل من أعظم أسباب الابتداع سواء أكان جهلا بالنصوص - بعدم الإطلاع عليها - أم كان جهلا بمنزلتها في الدين أو بدلالات الألفاظ ومقاصد الشريعة.

قال الإمام أحمد في وصف المبتدعة: عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين. اهـ.

فشعار المبتدعة ترك الآثار، وشعار أهل السنة مثل ما قال محمد بن سيرين رحمه الله: «كانوا يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الأثر».

ولذلك فإن أهل السنة أتباع الحق والهدى، يُسمون أهل الحديث تارة، وأهل الأثر تارة، كما قال هارون الرشيد: «طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته في الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث».

فانظر كيف فرق بين أتباع الهدى أصحاب الاتباع، وأتباع الردى ذوي الابتداع؛ لأن الله عصم أولئك بمسلكهم خلف رسول الله ﷺ كما قال وكيع بن الجراح: «لو أن الرجل لم يصب في الحديث شيئًا إلا أن يمنعه من الهوى كان قد أصاب فيه».

وأساس علوم الإسلام كتاب الله وسنة رسوله، وقد أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام عن ذهاب العلم فقال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

[أخرجه البخاري (١/١٩٤ فتح)]

ولقلة علمهم اتبعوا المتشابه، وتركوا المحكم، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «سيأتي ناسٌ يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل». [الشريعة للآجري].

وقد وصف الصادق ﷺ الخوارج بصفات منها: ما رواه علي رضي الله عنه حيث قال: وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».

[أخرجه البخاري (٦/١١٤)، ومسلم (١/٧٤٦)]

وهم على عكس أهل السنة الذين من صفاتهم الرسوخ في العلم ورد المتشابه إلى المحكم، إذ من صفات المبتدعة

الزيغ، وقلة العلم، واتباع المتشابه، فمن جهة الجهل بالشرع حصل لهم الزيغ، فتركوا الأدلة المحكمة واتبعوا المتشابه فقادهم ذلك إلى الابتداع.

وفروع جهل المبتدعة بالشريعة كثيرة ومتنوعة، منها:

١- الجهل بالسنة النبوية والاعتماد على المرويات الواهية

فظهر نتيجة ذلك بدع عديدة نذكر منها على سبيل المثال:

أ- بدعة الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي، والتي تعتمد على حديث النور المكذوب الذي لا أصل له، المنسوب إلى مصنف عبد الرزاق عن جابر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال النبي ﷺ: «إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور في القدر حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جني، ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق، قسم ذلك النور أربعة أجزاء:

١- الجزء الأول وخلق منه القلم.
٢- ومن الثاني: اللوح.
٣- ومن الثالث: الجنة والنار.
٤- ثم قسم الرابع إلى أجزاء.

أ- فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين.

ب- ومن الثاني: نور قلوبهم- وهو المعرفة بالله.

ج- ومن الثالث: نور أنسهم- وهو التوحيد- لا إله إلا الله، محمد رسول الله... الحديث. [كشف الخفاء للعجلوني].

وهذا كلام مصادم للنصوص الشرعية التي بينت أن مبدأ خلق العالم هو الماء والعرش كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، وقوله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء».

[أخرجه البخاري ١٥٢/٩]

وأما حديث: «أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة». [المسند ٣١٧/٥]. فالأولية في هذا الحديث مقيدة بالنسبة لما عدا العرش والماء، أو بالنسبة لما صدر منه من الكتابة، أي قيل له أول ما خُلق: اكتب. [انظر فتح الباري ٢٨٩/٦].

ب- وبدعة وحدة الوجود أساسها حديث لا أصل له: «ما وسعتني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن».

جـ- وكذلك بدعة خلق المخلوقات من أجل النبي ﷺ تعتمد على الحديث المكذوب: «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك».

الموالد وإفساد العقائد

ومما يؤسف له أن مثل هذه الأحاديث الواهية والمكذوبة يروج لها الصوفية كل عام عبر وسائل الإعلام وهم يحتفلون ببدعة المولد النبوي التي لم يحتفل بها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه، فينشرون بذلك العقائد الفاسدة والمبادئ الهدامة في صفوف الأمة، ويشوهون بذلك حقائق الدين الحنيف ومعالمه بدعوى محبة النبي ﷺ.

٢- الجهل بأساليب اللغة العربية

فقد جعل العلماء لزامًا على كل من أراد أن ينظر في الكتاب والسنة أن يتعلم لسان العرب الذي به أديت ونقلت نصوص الشريعة، وأن ينظر في أساليبهم واستعمالاتهم.

قال الشاطبي في بيان مآخذ المبتدعة في الاستدلال: «ومنها تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين، مع العزوف عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله، فيفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك».

والعجيب أن من كان عالمًا باللغة من المبتدعة، فإنه قد يحرف قواعد اللغة وما تعارف عليه العرب، من أجل أن يوافق

•• بسبب جهل المبتدعة بالكتاب والسنة حصل لهم الزيغ فتركوا الأدلة المحكمة واتبعوا المتشابه فقادهم ذلك إلى الابتداع.

•• بدعة الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي التي تعتنقها الصوفية تعتمد على حديث مكذوب لا أصل له وهو: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر».

•• يروج الصوفية كل عام عبر وسائل الإعلام وهم يحتفلون ببدعة المولد النبوي للعقائد الفاسدة في صفوف الأمة ويشوهون معالم الدين الحنيف.

مذهبه الباطل، وإليك هذين المثالين:

المثال الأول: إنكار رؤية الله تعالى في الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ [الأعراف:١٤٣]، زعم المعتزلة أن: «لن» تفيد تأبيد نفي المستقبل. يعني: لن تراني في الدنيا، ولن تراني في الآخرة! وهذا مخالف لقواعد اللغة؛ فـ: لن عند العرب لا تفيد النفي المؤبد؛ ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]، ولهذا قال ابن مالك في ألفيته:

ومن رأى النفي بـ (لن) مؤبدا
فقوله اردد وسواه فاعضدا

وقال الخازن في تفسيره: «وقد تمسك من نفي الرؤية من أهل البدعة والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، قالوا: «لن» تكون للتأبيد والدوام، ولا حجة لهم في ذلك، ولا دليل؛ ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة، وما قالوه في أن «لن» تكون للتأبيد خطأ بين، ودعوى على أهل اللغة، إذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة العربية، ولم يقل به أحد منهم».

ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة: ٩٥]، مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقوله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧].

فإن قالوا: إن «لن» معناها تأبيد النفي، كـ «لا» التي تنفي المستقبل، قلنا: إن صح هذا التأويل فيكون معنى: «لن تراني». محمولاً على الدنيا؛ أي: لن تراني في الدنيا؛ جمعًا بين دلائل الكتاب والسنة؛ فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح: أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة. [انظر شرح الطحاوية ٢٠٧]

المثال الثاني:

تأويل حديث النبي ﷺ: «إنما قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن». [أخرجه الدارمي وابن أبي عاصم في السنة ١٠٣/١] إلى أن المراد بالإصبعين «قدرتين»، ولهذا قال الدارمي: «فهذه ألفاظ رسول الله ﷺ في الحديث الذي بينته ورويته بلسان عربي مبين، ففي أي لغات وجدت أنها قدرتين من القدر، وهل من شيء ليس تحت قدرة الله التي وسعت كل شيء حتى خص رسول الله ﷺ القلوب من بينهما بقدرتين؟ إلى أن قال عن الجهمي- فقال إصبعاه: نعمتاه، قال: وهذا جائز في كلام العرب».

فيقال لهذا المعارض: في أي كلام العرب وجدت إجازته؟ وعن أي فقيه أخذته فأسنده إليه، وإلا فإنك من المفترين على الله وعلى رسوله. [رد الدارمي على المريسي ٦٢].

٣- الجهل بمقاصد الشريعة

فإن الدين قد كمل، ولم يمت رسول الله ﷺ، إلا وقد وضح كل شيء بشهادة الله سبحانه وتعالى، بذلك حيث قال سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

فأما النوازل الحادثة والوقائع المتجددة، فإنها تنضوي تحت كليات الشرع وقواعده «فلم يبق للدين قاعدة يحتاج إليها في الضروريات والحاجيات، أو التكميليات، إلا وقد بُينت غاية البيان». [الاعتصام ٣٠٥/٢].

والنوازل والجزئيات التي تستجد تدخل تحت هذه القواعد، وينظر في كل نازلة بمنظار الشرع، فإنه لا بد أن يكون لها حكم بالقبول أو الرد، سواء كان ذلك في مجال العبادات أو في المعاملات، ومن كليات هذا الدين وقواعده الأساسية التي تنتظم كل الجزئيات الحادثة قوله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

وهذه القاعدة الشرعية تصوغ لنا مقاصد شرعية أغفلها المبتدعة فضلّوا وأضلّوا، منها:

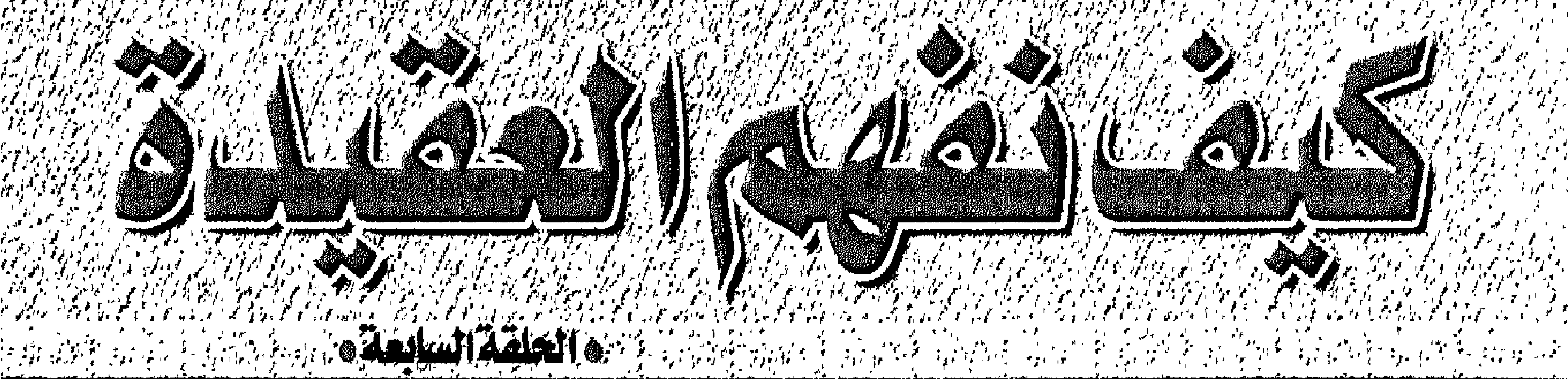
١- النظر إلى الشرع بعين الكمال لا بعين النقص، بحيث لا يخرج عنه ألبتة، ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله بشيء يخترعه، فإن الزائد في الشريعة والمنقص منها هو المبتدع المنحرف عن الجادة إلى بنيات الطرق.

وعندما أغفل المبتدعة هذا المقصد الشرعي، استدركوا بأقوالهم وأفعالهم على الشرع الكريم فاتهموه - بواقع حالهم أو بمقالهم - بالنقص. [الاعتصام ٣١٠/٢، ٣١١]

٢- الإيقان بأن لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدها مع الآخر، بل الجميع جارٍ في مسار واحد منتظم في نظام واحد، ولما ترك المبتدعة هذا اليقين في النظر إلى الشريعة، تخبطوا واختلفوا فأعرضوا عن بعض الشرع، وضربوا كتاب الله بعضه ببعض.

٣- الإيقان بأن لا تعارض بين العقل الصريح والنص الصحيح مطلقًا، فلما تخلف هذا الإيقان عند بعض المبتدعة صالوا على النصوص صولة المحاربين، وردُّوا الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدَّعون أنها مخالفة للمعقول كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله في الآخرة، وحديث الذباب، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وأحاديث نزول عيسى وخروج الدجال والدابة، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة عن العدول من سلف الأمة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى



• الحلقة السابعة •

بقلم: د. محمود عبد الرازق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

استكمالاً لعرض المنهج الصحيح لفهم عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة فإننا قد توقفنا مع ست قواعد هامة في فهم منهج السلف للقرآن والسنة، وفي هذه الحلقة إن شاء الله تعالى نكمل ما تيسر من تلك القواعد:

القاعدة السابعة

التي نفهم من خلالها العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح: أنه يجب الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الثابتة بكل ما فيهما لمعرفة الدليل على الموضوع الواحد، وذلك لكي يكون المنهج منهجًا صحيحًا نابعًا من القرآن والسنة وبالفعل، فالقرآن هو كلام الله تعالى إلى عباده، الذي يمثل نورًا لكل العباد، وعباد الله متعددون في النوعية ومختلفون في العقلية، يختلفون ويتنوعون زمانًا ومكانًا، كما أن القرآن يتحدث عن كثير من الحقائق، ويعرض كثيرًا من الموضوعات، لكنها ليست في خطة دراسية مكونة من أبواب وفصول، أو مباحث جزئية أو مطالب بحثية، كمباحث الماجستير والدكتوراه، فليس فيه باب مستقل عن الصلاة، أو فصل مختص بالزكاة، أو غير ذلك من أحكام الله، ولكن الموضوع الواحد قد يكون مطروحًا في سور القرآن التي تضم آلاف الآيات والجمل والكلمات، والله عز وجل ترك الاجتهاد مفتوحًا لجمع المعلومات، والنظر في الأدلة لموضوع من الموضوعات، وذلك حتى يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، فالقرآن نور لمن نور الله بصيرته في النظر إلى الآيات، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فلا بد لكل مسلم أن يعلم أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، فما أجمله في موضع أفاض فيه في موضع آخر، فينبغي لنا حتى نتعرف على دليل من القرآن والسنة لحقيقة غيبية، أو مشهودة واقعية، أو أي موضوع من الموضوعات، ينبغي أن ننظر في جميع الآيات، وما ثبت في السنة من الأخبار والمرويات.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، إذا وقفت عندها يصبح معناها وعيدًا للمصلين، وحجة للمفسدين، ولو وصلتها بما بعدها، لبان لك مراد رب العالمين، حيث يقول تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤- ٧].

فالأمر الذي وقع فيه كثير من طوائف المسلمين وفرقهم، هو عدم أخذهم للأدلة كلها كوحدة واحدة في الموضوع الواحد، وقد فعل ذلك علماء بني إسرائيل وأحبارهم، فعلوا ذلك في كتابهم، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، فبدلوا وغيروا وحرفوا تحريف لفظ أو تحريف معنى، يقوم على إخفاء بعض الحقائق وإلغائها، أو التغاضي عنها وتكذيبها، أو كفر الأحكام بتغطيتها، يقول سبحانه وتعالى عن علماء بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ

تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥].

فإذا كان بنو إسرائيل قد آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، عن سوء نية وسوء قصد، فإن كثيرًا من المتصوفة والمتكلمين، أتباع الجهمية، قد شابهوا اليهود في فعلهم، فأخذوا ببعض ما ورد في كتاب ربهم وسنة نبيهم، وتركوا البعض، سواء عن قصد أو غير قصد، تركوا النظرة الشاملة للقرآن والسنة، فجاء اعتقادهم مشوهًا قاصرًا، مضطربًا مختلفًا باطلاً.

ومثال ذلك أن بعض الصوفية بدلوا مجال الاختيار الذي ورد في الإسلام، من اختيار بين الدنيا والآخرة أو بين الجنة والنار، إلى اختيار بين الله وبين سائر المخلوقات في الدنيا والآخرة، كما روي عن رابعة العدوية أنها قالت: «ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعًا في جنتك، ولكن حبًا لذاتك». فقد جعلت حب الذات- ذات الله- خيارًا مطروحًا في مقابل الدنيا والآخرة، ومن ثم صرح أغلب الصوفية بأن العبد ينبغي أن يعبد الله دون انتظار للثواب أو خوف من العقاب، بل يعبد الله حبًا لذاته، فأدى ذلك إلى أن وصلوا إلى درجة يحتقرون فيها من عبد الله انتظارًا لثوابه، وخوفًا من عقابه، وقد وصفوه أنه من التجار الذين لا يعطون إلا لانتظار البديل، بل غالى بعضهم فوصف هذا الفريق بأنهم عبيد السوء الذين لا يوقرون الله عزَّ وجلَّ لذاته ولكن لما يصلهم من نفع أو نعمة، حتى قال أبو بكر الشبلي: «إن لله عبادًا لو بزقوا على جهنم لأطفأوها». وقال أيضًا: «لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مشركًا».

ولما رجعوا إلى القرآن، لم يرجعوا إلى القرآن الكريم كله بالتكامل مع السنة لكي يكون المنهج صحيحًا والموضوع نابعًا من القرآن بالفعل، ولكنهم استدلوا ببعض وتركوا دلالة البعض الآخر معطلة،

فاستدل الكلاباذي بجزء من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال معقبًا: ليعبدوه بالرق لا بالطمع، وقطع الآيات عن نهايتها التي لو استكملت لتغير المعنى تمامًا، فشراء الله لأنفس المؤمنين وأموالهم إنما كان بعوض وهو الجنة، وعمل المؤمنين كان سببًا للوصول إلى هذه الجنة، وإن كان لا يزنها، ولكن هذا لا يمنع المؤمن أن يطمع في فضل الله ورحمته، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩- ١٢].

وإذا أخذت نصوص القرآن والسنة مجتمعة، فسوف تجد الثناء على عباد الله وأوليائه بسؤال الجنة ورجائها، والاستعاذة من النار، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥- ٦٦].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال لرجل: «ما تقول في الصلاة؟» فقال: أتشهد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال ﷺ: «حولها ندندن».

فالعبادة الحقة عند الصوفية هي ما كانت دون طلب العوض من الله، وأن التطلع إلى الجنة عندهم معصية، وطلبها نقص في حق العابد، روي عن رابعة العدوية أنه دخل عليها جماعة يعودونها من شكوى، فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سببًا، غير أني عرضت عليَّ الجنة فملت بقلبي إليها، فأحسب أن مولاي غار عليَّ، فعاتبني فله العتبى.

• كان الصحابة يتبعون ولا يبتدعون، وكانوا يقولون ما يفعلون

ومعنى هذا أن مجرد ميل القلب إلى الجنة يعتبره المتصوفة ذنبًا يعاقبون عليه، ففي سبيل هذه العقيدة حولوا معاني الآيات والأحاديث إلى ما يريدون إثباته، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ استدلوا بهذا المقطع من الآية فقط، وقطعوا الآية عن نهايتها التي ترد قولهم وهي قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ فشراء الله لأنفس المؤمنين وأموالهم إنما كان بعوض وهو الجنة، وعمل المؤمنين كان سببًا للوصول إلى هذه الجنة، وإن كان غير مكافئ لها، ولكن لا يمنع هذا المؤمن أن يطمع في فضل الله ورحمته ودخول جنته، وأن يسعى إلى ذلك، بل هذا هو التعبد الصحيح.

القاعدة الثامنة

التي نفهم من خلالها العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح: أنه لا يجوز تفسير القرآن إلا بدليل، لا بمجرد الرأي والهوى، فمن المعلوم أن الله تعالى خاطب عباده بما يفهمونه، ولذلك أرسل الرسل بلسان قومهم، وأنزل للصحابة كتابه بلغتهم، فالقرآن إنما أنزل بلسانهم، ونزل على قلوبهم وعقولهم، فشغلهم وأثار انتباههم منذ اللحظة الأولى لسماعه من نبيهم، فدعاهم إلى الالتفات إلى ما جاء به من حسن التعبير والبيان، وحارت عقولهم لما جمع من ألفاظ حسان، فوجدنا كثيرًا من الصحابة رضي الله عنهم يسأل رسول الله ﷺ عن معنى بعض الألفاظ ليفهم بها خطاب الله عز وجل، روى البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون: «لم يلبسوا إيمانهم بظلم» بشرك، أَوَلَمْ تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

ففسر النبي ﷺ الظلم بالشرك كما روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾».

غير أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون من خطاب الله ظواهر القرآن وأحكامه، أما أعماقه وأغواره ودقائق بيانه، فكانت تظهر لهم بعد البحث والسؤال وطلب البيان، وكان هذا حالهم مع القرآن في أغلب الأحيان، ولذلك لم ينقل إلينا عنهم تفسيرُ القرآن بجملته، أو تأويل كامل لمعانيه وحكمته، لأن إيمانهم العميق بالنبي ﷺ ودعوته، جعلتهم على استعداد تام للتصديق بكل ما جاء به من عند ربه، وليس الأمر كما يقوله المستشرقون من النصارى الحاقدين، كالمسمى جولد تسيهر، أن أفهام الصحابة كانت في طور النمو والاكتمال، لأن الإسلام بعد موت النبي ﷺ كان طفلاً يافعًا، ولم يكن كاملاً ناضجًا، نقول لهؤلاء: إن الصحابة كانوا أكمل من غيرهم فهمًا، وأكثر من غيرهم علمًا، وأفضل الناس قولاً وعملاً، والله أنزل على نبيه ﷺ قبل موته: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وقد دلت الآية على اكتمال الدين وتمام النعمة، وأي تشكيك في ذلك يكشف سوء النية، ويكشف دعاوى الحقد والجهل، لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتبعون ولا يبتدعون، ينظرون ويدققون، وكانوا يقولون ما يفعلون، لكنهم كانوا يسألون، إذا غاب عنهم معنى آية في كتاب الله أو جهلوا حكمًا ذكره رسول الله ﷺ، ولذلك روي عن أبي بكر الصديق أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فقال: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم». وعند الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٧: ٣١]، قال: فكل هذا قد عرفناه فما الأب؟ ثم نقض عصا كانت في يده، رماها وقال: هذا لعمرُ الله التكلف، اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب.

والله من وراء القصد.

مفاهيم عقائدية

الملائكة وبقية المخلوقات

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

بعد أن وضحنا العلاقة بين الملائكة وعموم البشر، نبين العلاقة بين الملائكة وبقية المخلوقات.

١- حملة العرش:

العرش أعظم المخلوقات، والرحمن مستوٍ عليه استواءً يليق بعظمته سبحانه، وجاء ذكر العرش في كتاب ربنا سبحانه في مواضع منها:

١- ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].

٢- ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة].

٣- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

٤- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

٥- ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥].

وأما السنة فقد ورد ذكر العرش في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ منها:

١- ما رواه مسلم في كتاب القدر عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء».

وفي الحديث دلالة على أن العرش كان مخلوقًا قبل السماوات والأرض.

٢- أخرج مسلم في كتاب البر والصلة، عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي». البخاري في بدء الخلق، ومسلم في كتاب التوبة.

وللعرش حملة يحملونه، وهذا أمر ثابت بالكتاب والسنة، أما الآيات فقد دلت على أن لله ملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه، وآخرون يكونون حوله ويوم القيامة يحمله ثمانية. [نقض التأسيس (١/٥٧٥) لشيخ الإسلام].

وليس العرش هو الملك كما تقوله طائفة من الجهمية لأن الملك هو كل الخلق، وفي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أذن لي



إعداد/ أسامة سليمان

أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». رواه أبو داود وصححه الألباني.

والقول بأن حملة العرش ملائكة هو قول السلف، أما الذين أنكروا استواء الله على عرشه، وقالوا: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء، وأن العرش بمعنى الملك، فإنهم أنكروا كون حملة العرش من الملائكة وتأولوا الآيات، ومنهم الفلاسفة فقد قالوا إن المراد بالحملة الثمانية، الثمانية أفلاك التي تحت الفلك المحيط أو ما يسمونه بالفلك التاسع. [العرش للذهبي].

٢- ملك الجبال:

للجبال ملائكة، وقد أرسل الله ملك الجبال للنبي ﷺ، عندما آذاه قومه، ففي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟» قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب- قرب مكة- فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين- جبلان بمكة- فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا».

٣- الموكلون بالقطر والنبات والأرزاق:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الرسول ﷺ قال: «الرعد ملك من ملائكة الله، موكل بالسحاب، معه مخازيق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله» [صحيح الجامع ٣/١٨٨]، وفي حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل بفلاة في الأرض، فسمع صوتًا في سحابة يقول: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثًا.

والحديث يوضح أن للسحاب ملائكة توكل به، تصرّفه حيث أراد الله سبحانه، وما من قطرة ماء تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقرها حيث يأمره الله عز وجل، والملائكة تدبر حركة السماوات والأرض بأمر خالقها، يقوله سبحانه: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ يقول جل شأنه: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ والحديث في الآيات عن الملائكة وتدبيرها شئون السموات والأرض بأمر خالقها.

والله من وراء القصد.

الإعلام بسير الأعلام

قدوة المفسرين والمحدثين

قتادة

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة بن عُكابة أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه.

مولده: ولد سنة ستين.

شيوخه: روى عن عبد الله بن سرجس وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وأبي العالية الرياحي وأبي عثمان النهدي وعكرمة مولى ابن عباس والحسن البصري، وبكر بن عبد الله المزني، وعطاء بن أبي رباح، وأبي الشعثاء وجابر بن زيد، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شقيق، ومحمد بن سيرين، وأبي مجلز، وخلق كثير.

الرواة عنه: روى عنه أئمة الإسلام أيوب السختياني، وابن أبي عروبة، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، وميسعر بن كِدَام، وعمرو بن الحارث المعري وشعبة بن الحجاج، وجرير بن حازم، وشيبان النحوي، وهمام بن يحيى، وحماد بن سلمة، وأبان العطار وسعيد بن بشير، وشهاب بن خراش، وأبو عوانة الوضاح اليشكري، وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه: قيل للزهري: أقتادة أعلم عندكم أو مكحول؟ قال: بل قتادة، ما كان عند مكحول إلا شيء يسير.

قال محمد بن سيرين: قتادة من أحفظ الناس.

قال بكر المزني: من سره أن ينظر إلى أحفظ من أدركنا فلينظر إلى قتادة.

قال سعيد بن المسيب: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة. وقال له: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

قال معمر: لم أر في هؤلاء أفقه من الزهري وقتادة وحماد.

قال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالمًا بالتفسير وباختلاف العلماء، ثم وصفه بالفقه والحفظ، وقال: قلما تجد من يتقدمه، وقال: كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئًا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها.

قال الثوري: وهل كان في الدنيا مثل قتادة؟

قال مطر الوراق: كان قتادة إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل حتى يحفظه.

قال ابن مهدي: قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد الطويل.

قال أبو حاتم: صدق ابن مهدي.

قال يحيى بن معين: ثقة.

وقال أبو زرعة: قتادة من أعلم أصحاب الحسن.

قال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري، ثم قتادة وهو أحب إليَّ من أيوب ويزيد الرشك إذا ذكر الخير يعني إذا صرح بالسماع.

قال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا حجة في الحديث.

قال ابن حبان: كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ أهل زمانه.

قال ابن حجر: ثقة ثبت يقال وُلد أكمه.

قال الذهبي: حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين، وكان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع فإنه مدلس معروف بذلك. (والمدلس أن يروي الراوي ما لم يسمعه من شيخه بصيغة تحتمله كعن ونحوه).

وقال: ولا يشك أحدٌ في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه وبذل وسعه والله حكم عدل لطيف بعباده ولا يسأل عما يفعل ثم إن الكثير من أئمة

العلم إذا كثر صوابه وعلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له ذلك ولا نضلله ونفارقه وننسى محاسنه. نعم لا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك.

قلت: لعل القدر الذي رُمي به قتادة ونفيه خلق الله الشر أو قدرة العباد على فعل الشر وهذا خطأ فإن مذهب أهل السنة أن الله عز وجل خالق كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، وكما قال رسول الله ﷺ في بيانه للإيمان: «... وتؤمن بالقدر خيره وشره». ومع ذلك لا نضيف الشر وحده إلى الله عز وجل كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك» أي لا يضاف إليه الشر محضًا أو أن الشر هو شرٌ من جهة المتعلق به وهو العبد، أما الله عز وجل فكل أفعاله خير وهو كما يقول الإمام الذهبي حكم عدل لطيف بعباده ولا يسأل عما يفعل.

من أحواله وأقواله:

قال معمر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام فقال له في اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتني (أي أخذت مني علمي كله).

قال معمر: وسمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا. وعنه قال: ما سمعت شيئًا إلا حفظته.

قال مطر: كان قتادة إذا سمع الحديث يختطفه اختطافًا، يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه (أي القلق والانزعاج).

قال معمر: قال قتادة لسعيد بن المسيب: يا أبا النضر، خذ المصحف، قال: فعرض عليه سورة البقرة فلم يُخْطِ فيها حرفًا، قال: فقال: يا أبا النضر، أحكمت؟ قال: نعم، قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة، قال: وكانت قرئت عليه الصحيفة التي يرويها سليمان اليشكري عن جابر.

قال أبو هلال: سألت قتادة عن مسألة فقال: لا أدري، فقلت: قل فيها برأيك، قال: ما قلت برأيي منذ أربعين سنة وكان يومئذ له نحو من خمسين سنة، قلت: فدل على أنه ما قال في العلم شيئًا برأيه.

قال عبد الرزاق: عن قتادة قال: تكرير الحديث في المجلس يذهب نوره وما قلت لأحد قط: أعد عليّ.

قال أبو هلال: سمعت قتادة يقول: إذا سرك أن يكذب صاحبك فلقنه.

قال شعبة: كنا نعرف الذي لم يسمع قتادة مما سمع إذا قال: قال فلان وقال فلان عرفنا أنه لم يسمع.

قال ابن مهدي: سمعت شعبة يقول كنت أنظر إلى فم قتادة كيف يقول فإذا قال حدثنا يعني كتبت.

قال مطر الوراق: ما زال قتادة متعلمًا حتى مات.

قال أبو هلال: قالوا لقتادة نكتب ما نسمع منك؟ قال: وما يمنعك أن تكتب وقد أخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب فقال: «علمها عند ربي في كتاب» وسمعته يقول: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر.

قال قتادة: باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول.

قلت: فالعبادة من غير علم قد تكون على بدعة والعلم هو الذي ينير للمرء طريقه.

قال أبان العطار: ذكر يحيى بن أبي كثير عند قتادة فقال: متى كان العلم في السماكين؟ فذكر قتادة عن يحيى فقال: لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة، قال الذهبي كلام الأقران يطوى ولا يروى فإن ذُكر تأمله المحدث فإن وجد له متابعًا وإلا أعرض عنه.

قال قتادة: ما سمعت أذناي شيئًا قط إلا وعاه قلبي.

قال له سعيد بن المسيب: لم أر أحدًا أسأل عما يختلف فيه منك، قال قتادة إنما يسأل عن ذلك من يعقل.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. قال: كفى بالرهبة علمًا اجتنبوا نقض الميثاق فإن الله قدم فيه وأوعد، ذكره في آي من القرآن تقدمة ونصيحة وحجة، وإياكم والتكلف والتنطع والغلو والإعجاب بالأنفس تواضعوا لله لعل الله يرفعكم.

قال ابن شوذب: كان قتادة رأسًا في العربية والغريب وأيام الناس وأنسابها حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء كان قتادة من أنسب الناس.

قال ابن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: إن عبد الرحمن يقول: اترك من كان رأسًا في بدعة يدعو إليها، قال: فكيف يصنع بقتادة وابن أبي رَوَّاد عمر بن ذر وذكر قومًا ثم قال يحيى: إن ترك هذا الضرب ترك ناسًا كثيرًا.

وفاته:

توفي بواسط في الطاعون وهو ابن ست أو سبع وخمسين سنة وذلك سنة مائة وسبع عشرة أو ثماني عشرة، رحمه الله.

المراجع:

سير أعلام النبلاء- تهذيب التهذيب- تقريب التهذيب.

واحة

من نور كتاب الله

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١].

من هدي الرسول ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «علّموا ويسرُوا ولا تعسروا وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت» [مسند الإمام أحمد ٢٣٩/١].

من أقوال السلف

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» [ذم الكلام للهروي ٥/٥٨].

عن عبد الله رضي الله عنه قال: «العلم في كبرائكم ولن تزالوا بخير ما كان كذلك، فإذا قال الصغير للكبير ما يدريك فهناك» [ذم الكلام للهروي ٥/٧٩].

قال ابن دهب: «كنا عند مالك بن أنس، فذكرت السنة، فقال مالك: السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».

حكم ومواعظ

قال الشافعي: «لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربعة: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة» ﷺذم الكلام للهروي ٥/٧٠].

قال يحيى بن معاذ: «الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة والمحاسبة للنفس عند كل همّة» ﷺذم الهوى لابن الجوزي ص١٧٤].

قال الثوري: التأني في الحركات واجتناب العبث هو السكينة المحمودة أما غض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات فهو الوقار» ﷺصفوة الأخيار ص٩٢].

من وصايا السلف

قال رجل لسفيان أوصني، فقال: إياك والأهواء، إياك والخصومة. [ذم الكلام ٤/١٤١].

من آثار البدع.. غلّ الصدور

قال عنبسة بن سعيد الكلاعي: «ما ابتدع رجل بدعة إلا غل صدره على المسلمين واختلجت منه الأمانة. [٤/١٥٥ ذم الكلام]

الإنابة

قال ابن القيم: «الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ومن لم يعكف قلبه على الله وحده، عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفاء لقومه ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ ﷺالأنبياء:٥٢]. ﷺ الفوائد لابن القيم ص١٩٦].

الترحيب

من معاني الآثار

كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في كل شيء، (خير) الخير ضد الشر. تقول منه خِرْتَ يا رجل. فأنت خائرٌ وخَيِّرٌ. وخَار الله لك: أي أعطاك ما هو خَيرٌ لك. والخِيرةُ بسكون الياء: الاسمُ منه. فأمّا بالفتح فهي الاسم، من قولك اخْتَارَه الله، ومحمد ﷺ خِيرَةُ الله من خَلْقِه. يقال بالفتح والسُّكون. والاستخارة: طلب الخِيرَة في الشيء، وهو استِفْعَالٌ منه. يقال استَخِرِ الله يَخِرْ لك.

ومنه دُعاء الاستخارة «اللهم خِرْ لي» أي اخْتَر لي أصلَحَ الأمرين، واجعل لي الخِيرَةَ فيه. [النهاية في غريب الحديث ٢/٩١]

من مناقب الصحابة

روى الإمام البخاري بسنده، عن إسماعيل بن قيس قال سمعت سعدًا رضي الله عنه يقول: «إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر».

من آثار التوحيد: العزة والسعادة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارًا إليه وخُضوعًا له؛ كان أقرب إليه، وأعزّ له، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله، وأما المخلوق فكما قيل: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره. ﷺ الفتاوى ـ الجزء الأول].

من آثار المعاصي: زوال النعم

ومازالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة» وقد قيل:

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن الذنوب تزيل النعم

[ابن القيم: الداء والدواء]

من أمثال العرب

غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ

يضرب مثلا للقناعة بالقليل من حظك، يقول: إن قليلك إذا قنعت به كان خيرًا لك من كثير غيرك؛ يطمح إليه طرفك فتذلُّ وتهون وتتعب وتنصب.

اعرف عدوك
الشيطان يأمرك بالغيبة

عن سفيان عن سليمان عن أبي رزين قال:

جاء رجل إلى فضيل بن بزوان فقال: إن فلانًا يقع فيك فقال: لأغيظنَّ من أمره. يغفر الله لي وله.

قيل له: من أمره؟ قال: الشيطان.

[الورع للإمام أحمد]

من معاني اللغة

(الأم) لكلمة أم عند العرب إذا أضيفت معاني كثيرة، فيقال: أم كلبة وهي الحمى، وأم الصبيان وهي الريح التي تَعرِض لهم فربما غُشِي عليهم منها. وأم جابر: الخبز، وأم عبيد: الصحراء، وأم عطية: الرحى، وأم شملة، الشمس، وأم دَرْز: الدنيا، وأم الخُلْفُفْ: الداهية، وأم بَحْنَة: النخلة، وأم عامِر: المقبرة، وأم البَيْض: النعامة، وأم الرأس: الدماغ، وأم اللهيم: المنية، وأم عمرو: الضبع.

ماذا يحب الله

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وقد قال الله تعالى في شأن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

المعروف: جميع الطاعات، وسميت معروفًا لأنها تعرفها العقول السليمة والفطر المستقيمة، وتقرها الشرائع السماوية، وأول المعروف توحيد الله، وبعد ذلك سائر الطاعات من واجبات ومستحبات كلها تدخل في نطاق المعروف، فكل ما أمر الله تعالى به أو أمر به رسوله ﷺ فإنه معروف.

المنكر: كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله، فجميع المعاصي كبائرها وصغائرها منكر، لأنها تنكرها العقول السليمة والفطر المستقيمة، وتنكرها الشرائع السماوية، وأعظم المنكرُ الشرك بالله عزّ وجلّ.

وجميع الرسل الذين بعثهم الله تعالى دعوا الناس إلى توحيد الله، الذي هو أعظم المعروف، ونهوا الناس عن الشرك بالله سبحانه، الذي هو أعظم المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق بين المؤمنين والمنافقين، وهو أخص أوصاف المؤمن، وهناك مراتب ثلاث للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيّنها رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

كذلك هناك ثلاث صفات ينبغي أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وهي:

الصفة الأولى: العلم: أن يكون عالمًا بالمعروف الذي يأمر به، والمنكر الذي ينهى عنه.

الصفة الثانية: الرفق: أن يكون رفيقًا حكيمًا بما يأمر به وفيما ينهى عنه، قال المصطفى ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

الصفة الثالثة: الصبر: أن يكون صبورًا على الأذى، كما حكى الله سبحانه عن وصية لقمان الحكيم لابنه ليمتثلها الناس ويقتدوا بها لأنها وصية نافعة: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

فالعلم يكون قبل الأمر والنهي، والرفق يكون في حالة الأمر والنهي، والصبر يكون بعد الأمر والنهي.

وماذا يكره الله

يكره الله الفساد

بقلم/ عدنان الطرشة

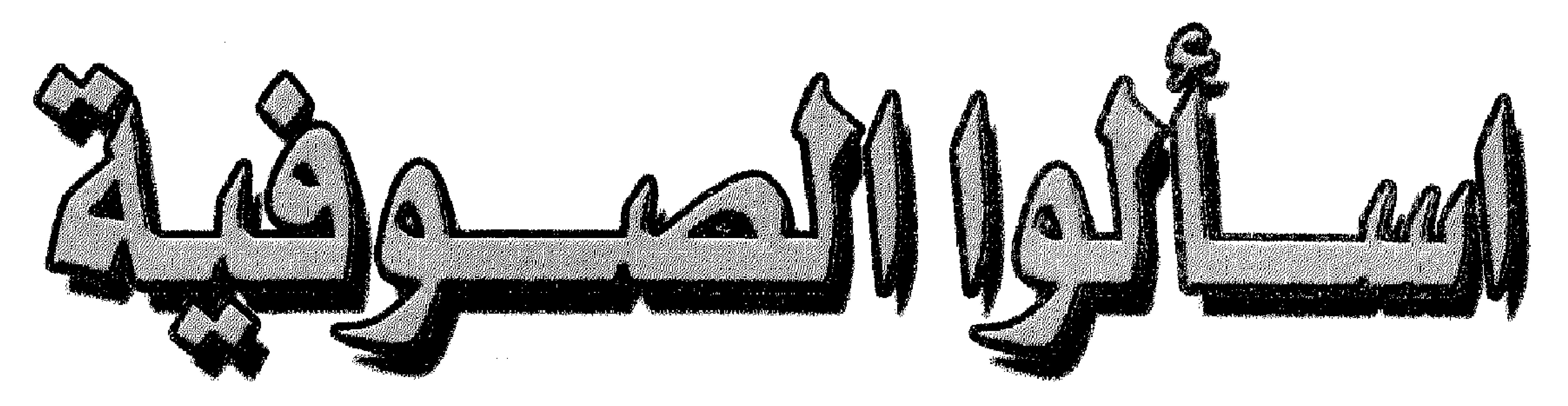
قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:١٧٦]

الفساد: هو العدول عن الاستقامة إلى ضدها، وهو ضد الصلاح.

المفسدون: هم الذين يعدلون عن الحق وهو لا إله إلا الله إلى الباطل وهو اتخاذ آلهة من دون الله، ويكفرون ويصدون عن سبيل الله، بصد الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، ويكيدون ويمكرون بالمسلمين، وإذا دخلوا قرية عاثوا فيها فسادًا وقتلاً وحرقًا وتدميرًا وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

هم ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٢]، ويتجبرون ويطغون ويعصون أوامر الله، ويركبون ما نهاهم عن ركوبه، ويفسدون سنن النبي ﷺ، ويبتدعون في الدين، وينقضون العهود والمواثيق، ويفسدون ذات البين بين الأحبة والأصدقاء، ويمشون بالنميمة، مقالهم أعوج، وأفعالهم سيئة وقبيحة، واعتقادهم فاسد، ويكذبون إذا حدثوا، ويخلفون إذا وعدوا، ويخونون إذا ائتمنوا، ويغدرون إذا عاهدوا، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات، ويَفْجُرون إذا خاصموا، ويهلكون الحرث فلا زرع ينبت ولا ثمار، ويهلكون نتاج الحيوانات.

هم الذين يرتكبون الشذوذ الجنسي، ويشربون الخمر، ويتعاطون المخدرات، ويتعاملون بالربا والرشوة، ويحتكرون في التجارة، ويأكلون أموال اليتامى وأموال الناس بالباطل، وينقصون المكيال والميزان، ويحتالون على الناس ويغشونهم، ويتعاملون بالسحر والشعوذة، ويوالون الكفار ويتآمرون معهم على المسلمين، ويعملون السحر فيفرقون بين المرء وزوجه ويفسدون في الأرض بكل أنواع الفساد.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

في واحد من الحوارات الرائعة والمناظرات الممتعة؛ وجه الشيخ صفوت الشوادفي - رحمه الله - هذه الأسئلة إلى مناظريه من الصوفية قال:

● إذا كانت الصوفية أعلى مراتب العبودية، فهل أنتم أفضل من مرتبة الإحسان أم أقل منها أم عليها؟ فإذا قلتم نحن في مرتبة الإحسان، فقد استبدلتم الذي هو أدنى بالذي هو خير، سماكم الله المحسنين وسميتم أنفسكم صوفية، وإذا قلتم إنكم أعلى من مرتبة الإحسان فقد كذبتم على الرسول ﷺ الذي جعل الإحسان أعلى مرتبة، وإذا قلتم نحن أقل من مراتب الدين فقد تساويتم بغيركم من المسلمين فلا وجه لتسميتكم بهذا الاسم.

● أنتم تخالفون في مسائل العقيدة الأصلية، ثم ما أنتم عليه من بدع وخرافات منتشرة تصادم صراحة ما صدر عن علماء الأزهر من فتاوى بهذا الخصوص، فلماذا الإصرار عليها؟

● تقولون: إن القرآن له ظاهره وباطنه، ومعلوم أن ذلك قال به الباطنية قديمًا، وجددتموها قديمًا وحديثًا.

● تقولون: «من اعترض انطرد»!! فليس عندكم شورى وليس عندكم «يسألونك» ولكن عندكم: «كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي من يغسله»!

● إذا كنتم تزيدون في مصر على سبعين طريقة فهل الرسول ﷺ عند الله بسبعين طريقة أم بطريقة واحدة؟.

● أنتم فيما بينكم تختلفون اختلافًا لا يرتفع، فبعضكم يقول: نحن لا نؤمن بالتصوف البدعي وهو التصوف الفلسفي، والآخرون يقولون: بل أنتم أصحاب المذهب الباطل، فأنتم تخطئون بعضكم بعضًا، ونحن نخطئكم جميعًا، والفارق بيننا وبينكم ليس في مبدأ أنكم على خطأ ولكن الفارق في حجم الخطأ.

● نحن مأمورون بحب الأولياء فمن عاداهم فهو ضال مضل، ولكننا منهيون عن عبادتهم، وأنتم خلطتم بين الكرامة الربانية والخارقة الشيطانية، فجعلتموهما شيئًا واحدًا.

● نحن نعترف بكرامات الأولياء، ومنكرها يتردد بين الضلال والكفر، بنصوص القرآن الكريم، ولكننا نقول أن هذه الكرامات في أصلها أمر خارق للعادة يمكن أن يكون كرامة ربانية أو خارقة شيطانية.

● «هل في الكتاب والسنة: أن يَنْذِر المريد للسيدة زينب فولاً وللبدوي عجولا؟ وما حكمه لو نذر للسيدة العجول بدلاً من الفول»!

- دار الإفتاء المصرية أصدرت فتوى تقول: «النذر لأولياء الله الصالحين باطل بالإجماع». فإذا كان باطلاً بالإجماع فلماذا تصر الصوفية على مخالفة إجماع الأمة؟

• وصدرت فتوى أخرى تقول: «لا يجوز بناء التركيبة والقبة فوق قبر الميت (أي الضريح)، فكيف تجرؤ الصوفية على مخالفة فتوى كبار العلماء ثم لا يُقال لهم أنتم خالفتم؟ ولماذا السكوت على مخالفيهم؟

• الأوراد التي تستعملونها؛ إما أن تكون نفس الأوراد التي سنَّها الرسول ﷺ وإما أن تكون غيرها، فإذا كانت هي فنحن معكم ولن نخالفكم، وإذا كانت غيرها فلماذا تصرون على مخالفة السنة؟.

• أنتم تقولون: إن الأقطاب أربعة. مَن الذي جعلهم أربعة ولم يكونوا أكثر أو أقل من ذلك؟

• أنتم تحددون الأقطاب بأسماء ثابتة ليس فيها أحد من الصحابة، فإذا كانت الأقطاب مرتبة عالية، فهل يعقل أن الصحابة ليس لهم ممثل ينوب عنهم في هؤلاء الأقطاب؟

• اختياركم لهؤلاء الأقطاب فيه شيء مريب هو أن هؤلاء الأربعة إذا نظرنا فيهم سنجد أن العراق اختصت باثنين والمغرب بواحد ومصر اختصت بالأماكن لمن دفن فيها من هؤلاء الأربعة.

• تقولون: من المعروف صوفيًا أن عدد الأولياء في كل عصر بعدد جميع الأنبياء وهو ١٢٤ ألف! وأشهد الله أنني لم أكن أعلم قبل ذلك أن هناك مكتب تنسيق للأولياء كالثانوية العامة! ومعلوم أن الولاية إيمان وتقوى كما ذكر القرآن الكريم، فلماذا تصرون على منع أي مسلم مستوف لشروط الولاية من الالتحاق بالأولياء، لا انتظام ولا انتساب لأن العدد عند الصوفية- رجمًا بالغيب- قد اكتمل، وعلى كل ولي لله بعد العدد المذكور أن ينتظر إدراج اسمه في العصر القادم بأولوية الحجز؟! ولم تذكروا لنا توزيع عدد الأولياء المذكور على دول العالم مترامية الأطراف.

• في مسألة الموالد نسألكم: لماذا تقيمون مولدًا للحسين رضي الله عنه ولا تقيمون مولدًا لعلي بن أبي طالب مع أنه بإجماع الأمة أفضل من الحسين، وهو أبوه؟ ونحن نعرف جوابًا لهذا، لكنكم لا تتجرءون على إظهاره وهو أن الشيعة خشيت أن تقيم الصوفية مولدًا لعلي بن أبي طالب فيترتب عليه مطالبة جمهور المسلمين بإقامة مولد لأبي بكر وعمر وعثمان، وهذا يترتب عليه أن الشيعة تعترف بالخلفاء الأربعة، والشيعة تبغض أبا بكر وعمر وتسميهما الجبت والطاغوت، فخوفًا من أن تقام موالد لهؤلاء الأربعة ضحت الصوفية بعلي بن أبي طالب ولم يتم إقامة مولد له لا من الصوفية ولا من الشيعة حتى لا تقع في مأزق إقامة موالد مشابهة للخلفاء الأربعة.

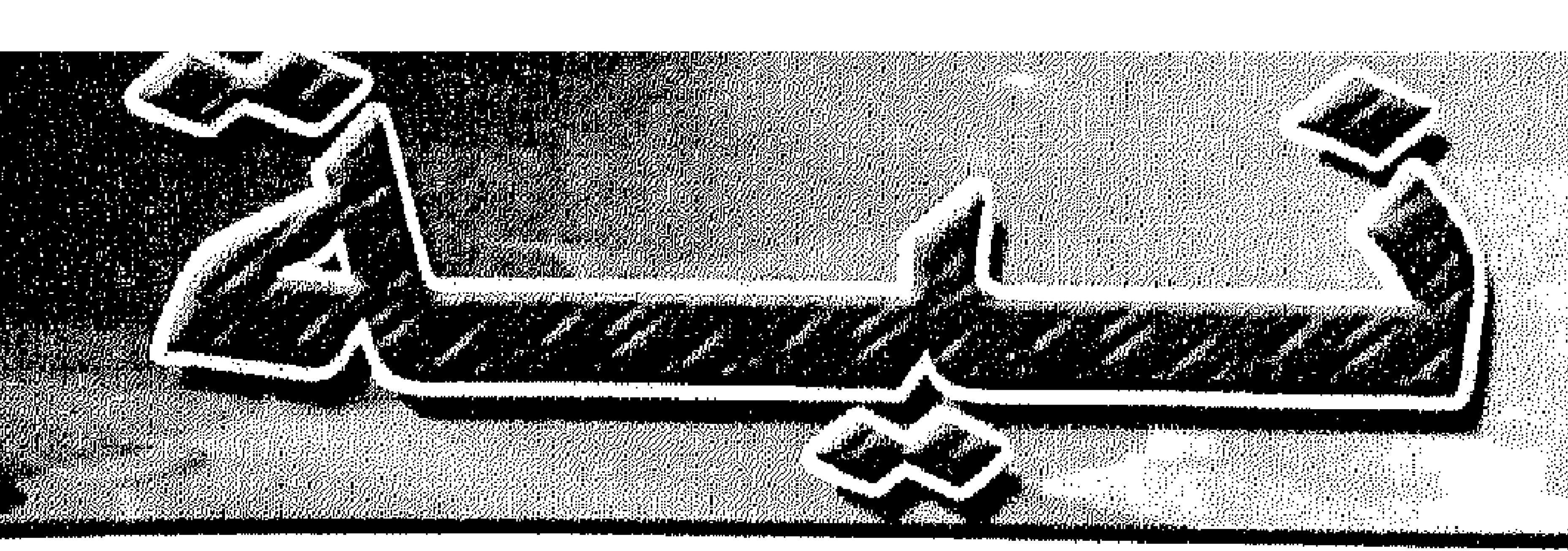
• ونتساءل هل في الكتاب والسنة أن تقام موالد للأولياء ولا تقام موالد للأنبياء؟

• الرأي العام يتساءل: لماذا يتسلم خليفة السيد البدوي أكثر من ١٠٠ ألف جنيه سنويًا (بإحصائية قديمة منذ ٧ سنوات) لأنه يركب الحصان لمدة دقائق وهي مجموعة من أموال الفقراء والمحتاجين؟ وإذا كنا نحرر واقعة نصب واحتيال لمن يبتز أموالاً قليلة من المواطن فماذا يُقال عن هذا الخليفة الذي يبتز بدون عمل ولا وظيفة؟ ولماذا تصر وزارة الأوقاف على السكوت عن هذا الابتزاز بصفتها مسئولة عن صناديق النذور؟

• وهل هذا الخليفة أولى من توجيه هذه الأموال للمنافع العامة، مع أن أصلها غير مشروع؟

• ولكن حتى لو تنزلنا إلى هذا القول فإن وزارة الأوقاف قد عجزت ولا أقول أنها رفضت عن أن تنفذ مثل هذا الرأي لأنها وُوجهت بـ«لوبي صوفي» يستطيع أن يوقف أي قرار من هذا النوع، لما له من منافع شخصية تتعارض مع الصالح العام.

-المجلس الصوفي الأعلى في مصر أو المشيخة مَنْ رئيسه المباشر؟ لا أحد، إذًا فقد أُنشئت الفرق الصوفية في مصر بطريقة تجعلها لا تتبع وزيرًا من الوزراء ولا تخضع للمساءلة إلا إذا أخطأت خطأً يهدد الأمن العام. إذن فالمقصود أن تناوئ الطرق الصوفية مشيخة الأزهر، فتصبح لها مشيخة، ولا يخضع شيخ الطرق الصوفية لا لمشيخة الأزهر ولا لسلطان وزير من الوزراء، فمن الذي أنشأ هذه الفكرة الخبيثة في مصر، ولماذا تكون الصوفية مستقلة تقول وتفعل ما تشاء؟




نية

دراسات شرعية

سبق أن أشرنا في العدد السابق إلى تعريف النية وأمارتها ودورها في الأعمال، وتأثرها بالإخلاص، وبيانًا لما أجملنا نقول:

النية هي أساس الأعمال كلها:

فأي عمل لا تكون النية قاعدته أو أساسه هو عمل حابط، إما لانعدام الإخلاص الذي هو جوهر النية، وإما لانطوائه على المراءاة، وإما لتخلف النية كلية، فالنية رأس كل أمر، وهي روح أي عمل، فلا يصح إلا بصحة النية ولا يفسد إلا بفساد النية(١)، وقد جرت سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول أن يكافئ كل إنسان: (بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه)(٢) وأن يلبس المرائي من المقت والمهانة ما هو لائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة وللآخر المقت والبغضاء(٣) ولذا كانت النية شرطًا لصحة كل الأعمال، فلا عمل بلا نية «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى». كما قال الصادق المصدوق ﷺ في حديث عمر بن الخطاب المشار إليه.

وقد قعَّد ابن حزم في عبارة عامة مجموعة قواعد عن النية كأساس للعمل يمكن القول إنها تتمثل في أمور أهمها:

(أ) أنه لا بد لكل عمل من نية.

(ب) أن العمل سواء كان حركة أو إمساكًا عن حركة لا يصح إلا بنية.

(ج) أن من توضأ أو ركع أو سجد بنية الرياء فهو فاسق وعاص، ومن أكل البُر دون رغبة في البُر بل لؤمًا وبخلا فآثم، (ومن لبس الوشي المرقع الذي ليس حريرًا بنية الاقتداء بالنبي ﷺ فمأجور فاضل، ومن لبس بنية التخنث والأشر والإعجاب ففاسق ومذموم، وهكذا جميع الأعمال أولها عن آخرها، فصح أن لا عمل أصلا إلا بنية)(٤).

وعلى ذلك فإن العبادات لا تصح إلا بنية، والنية هي مناط التمييز بين العادة والعبادة(٥)، وهي أساس جعل العادة طاعة، وكل عمل من أعمال العبادات، لا يقترن بنية التقرب إلى المعبود لا يُعتد به؛ ذلك أن (نية التقرب والتعبد جزء من نية الإخلاص ولا قوام لنية الإخلاص للمعبود إلا بنية التعبد، فإذا كانت نية الإخلاص شرطًا في صحة أداء العبادة، فاشتراط نية التعبد أولى وأحرى)(٦).

كما أن الإخلاص هو جوهر النية:

وأعلى مراتب النية الإخلاص لله، وهي المرتبة التي إن تحققت، صلحت كل أعمال الإنسان سواء كانت عبادات أم عادات، وسواء كانت حركة أم سكونًا، والإخلاص لله هو استسلام كامل له، بلا ريب قادح، أو شك محبط للعمل، ولا يتحقق ذلك إلا بتوحيد الله، والبعد عن عبادة أحد سواه، والنأي عن الشرك وإزالة خفاياه، وعدم الاعتماد إلا على رب العرش العظيم، فعندئذ تستقر الحقيقة الإيمانية في أعماق الإنسان استقرار يقين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:١١].

وبدون الإخلاص في العبادة يخلع الإنسان نفسه من زمرة أهل التوحيد، ويكون واجب المسلمين في هذه الحالة هو التبرؤ منه والبعد عنه، فقوام النية هو الإخلاص، الذي به ترتفع موازين أعمال البشر وترقى حتى يقبلها الله، وما قبله الله لا بد أن يرضى عنه كل من خلقهم.

وشرط النية هو المتابعة:

أما الإخلاص فهو أكبر معالم النية، بل هو جوهرها، فلا نية بلا إخلاص، ولكن قد توجد النية ويتجلى فيها الإخلاص، رغم أن الإنسان يغفل أحيانا عن متابعة هدي رسول الله ﷺ، لذا قال أهل العلم: إن المتابعة من أهم شروط النية، فيشترط للنية اتباع هدي رسول الله ﷺ في كل ما أمر به وتصديقه في كل ما أخبر عنه واجتناب ما نهى عنه، وألا يعبد الله إلا بما شرع(٧)، ولذا فإن المسلم قد تتوافر لديه نية العبادة وتقوم النية على الإخلاص فتتوافر النية ولكنها لا تحقق غايتها، وسبب ذلك هو تخلف شرطها وهو متابعة سُنَّة رسول الله ﷺ، وذلك

الاتباع



بالبعد عن البدع واجتناب آثامها، فالمغنية التي تمدح رسول الله ﷺ على صوت أنغام الموسيقى، قد تكون قد قصدت فعلا عبادة الله بعملها والتقرب إليه به وهو مدح رسول الله ﷺ من خلاله، ولكن شرط المتابعة لا يكون موجودًا فيحبط عملها ويكون وبالا عليها، لأنها لم تمنع صوتها عن أن يسمعه الآخرون فهو عورة، والنية لا تصح بالباطل، ولأنها أسمعت غيرها صوتها على أنغام موسيقى، والموسيقى هي مزامير الشيطان، ولأنها كانت سافرة فاشاعت بذلك الرذيلة، فما لم توجد متابعة فإن شرط النية يتخلف ويصبح وجودها عدما(٨)، ولا يجني المسلم من عمله غير المقرون بالمتابعة أي حسنات، بل يضع نفسه موضع من تضاعف لهم السيئات.

والعمل الصالح هو ميزان النية:

وقد بين المثال المتقدم أن صلاح العمل لا يتحدد بحسب نظرة الإنسان إليه، بل بحسب مدى متابعة الإنسان لدينه فيه، امتثالا للقرآن الكريم وعملا بالسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

أما إذا كان العمل غير صالح بأن خالف الكتاب والسنة، أو انطوى على بدعة في أمور العقائد والعبادات، أو في أمور العادات التي لنا فيها هدي من الكتاب أو السنة، لا في الأمور المتروكة على حكم الإباحة الأصلية؛ فإن ميزان النية يكون قد اختل وصار صاحب العمل غير الصالح من أهل المعاصي لا من أهل الطاعات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإنما يمتاز أهل الطاعة لله عن أهل معصيته بالنية والعمل الصالح كما في الصحيحين عن النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»)(٩).

ويزعم مدعو الولاية والتصوف أنهم يأتون أعمالا صالحة، تقرب الناس من شرع الله، وهذا زعم باطل، لأنه يكرس الابتداع لا الاتباع، ذلك أن العمل الصالح كميزان للنية له خصائصه، فهو عمل اتباعي

بقلم / د. محمد محمد شتا أبو سعد

لا ابتداعي، قوامه صدق العقيدة، وجوهره الامتثال للهدي النبوي الشريف، وغايته الحق، ولحمته الإيمان، وسداه المسارعة إلى المغفرة، وكل ذلك يحتاج إلى قلب لين مُطيع لله، وعقل واع مُدرك لأهمية التكاليف، وإرادة صادقة في البحث عن الطريق السوي وملازمته، وعدم الخوض في أمور الدين إلا عن علم ويقين، وطلب الهدى من الله. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

والطاعة هي الحكمة الكامنة وراء النية كما أن حبوط العمل ثمرة فسادها:

الإسلام دين الفطرة، الطاعة فيه لها ثوابها والمعصية فيه لها عقوبتها ما لم يتب فاعلها توبة نصوحًا.

وإذا كانت النية أساس أعمال الإنسان، فما ذلك إلا لأنها تجسد إخلاص العبد لله، وعدم الإساءة إلى أحد من عباده ولو في معاملة بسيطة، فإن نوى الإنسان الخير في كل تصرفاته مع رب العباد، فقد حقق الحكمة الكامنة وراء النية وهي طاعة رب البرية.

وطاعة الله المتمثلة في نية إرضائه وعدم الإساءة لخلق الله وعباده - ولو بكلمة نابية - تضفي على المسلم مهابة، لأن سلوكه الظاهر يكون صدى لكامن نيته وداخل سريرته وطويته، فيندفع الناس إلى حبه، فإن أحبه عباد الله أحبه الله ولم يلحقه أذى من بغض أو مقت أو كره. (وأصل كل هذا هو النية الصالحة والعمل المستقيم)(١٠)، وهكذا تتحدد المقاصد بالنيات، ولا يوجد خلاف بين أهل العلم في لزوم النية في المقاصد(١١)، سواء تعلق الأمر بأعمال الجوارح أو أعمال القلوب(١٢) والأقوال، فمن حديث معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم» أو قال «على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»(١٣).



وبيان ذلك أن حكمة مشروعية النية تكمن في تمييز العادات من العبادات، وتمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض(١٤) فأي فعل كالغسل والذهاب إلى المسجد ودفع المال وملاقاة العدو قد يتم على سبيل العادة، وقد ينوي الشخص إتيانه عبادة لا لمجرد النظافة ولا للراحة ولا للهدية ولا الرياء في الأمثلة المتقدمة وعندئذ تميز النية العادة عن العبادة.

كذلك الشأن في العبادات فالنية أساس بيان مراتبها، فالصلاة والصدقات منها ما هو فرض ومنها ما هو نفل على تفصيل، والنية هي التي تحدد مرتبة العبادات من فروض ونوافل. ثم إنه هل (يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما)(١٥).

فإذا كان العمل خالصًا لله لا تشوبه شبهة رياء ولا مظنة سمعة، ولا طلب دنيا بل التماس الآخرة، كانت النية سليمة والمقاصد سليمة والوسائل سليمة، فحق لصاحب تلك النية أن ينال أعلى الدرجات عند رب البرية، لأن الإنسان يكون قد صرف نيته خالصة لله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وذلك انطلاقًا من نيته العامة المواكبة لإيمانه، ونيته الخاصة المقترنة بعباداته والتي تتخصص بها العبادة عما سواها(١٦)، حيث ترتفع النية بالإنسان في مدارج كمالات الإيمان، فلا ثواب ولا عقاب إلا بنية(١٧)، إلا أنه يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد(١٨)، وإن الإنسان إذا احتال لكي يحلل الحرام أو يحرم الحلال فإنه معاقب شرعًا ويجب معاملته بنقيض قصده(١٩)، وقد قال سبحانه(٢٠): ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦]، وكذلك فإنه يجب في النية أن تستند إلى علم جازم في العبادات والتصرفات، أو ظن راجح في بعض الحالات، كأكل من يريد الصيام شاكًا في طلوع الفجر، حيث يصح صيامه استصحابًا للأصل(٢١) ولاستعماله ما يملك من الوسائل، والله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ويلاحظ أن مقاصد اللفظ على نية اللافظ، ويستثنى من ذلك الحلف فإنه على نية المستحلف كقاعدة عامة ترد عليها بعض الاستثناءات(٢٢).

---

(١) يقول ابن القيم في إعلام الموقعين ج٤ ص١٩٩: (النية رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي يبنى عليه فإنها روح العمل وقائدة وسائقة والعمل التابع لها يبنى عليها، يصح بصحتها ويفسد بفسادها، وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والإخرة...).

(٢) المرجع السابق ص١٩٩. (٣) المرجع السابق ص١٩٩. (٤) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج٥ ص٦، ٧.

(٥) بدائع الفوائد لابن القيم ج٣ ص٢٣٠. (٦) بدائع الفوائد لابن القيم ج٣ ص٢٣٠.

(٧) الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص٢٠.

(٨) روى البخاري في كتاب الرقاق ومسلم في كتاب الفضائل قوله ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتلون من يدي».

(٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج٣ ص٣٩٤. (١٠) إعلام الموقعين لابن القيم ج٤ ص١٩٩.

(١١) تفسير القرطبي ج٥ ص٢٣٣، بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ج١ ص٨، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١ ص١٤. (١٢) قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

(١٣) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، وقال: حديث حسن صحيح. (١٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص١٢.

(١٥) بدائع الفوائد لابن القيم ج٣ ص٢٢٤ وما بعدها.

(١٦) ويستوي بعد ذلك أن تكون النية فعلية أو حكمية، قصد بها تميز العمل أم تميز المعمول، وسواء كان المنوي فيها مقصودًا لذاته أم مقصودًا لغيره (كالوضوء)، حيث تكفي النية المجملة دون نية كل الجزئيات، وسواء اراد الإنسان بالعمل الدار الآخرة إرادة كلية مطلقة أم أراد معها منفعة دنيوية. انظر تفصيلات ذلك وغيره: د. صالح بن غانم السدلان، النية وآثرها من ص١٩٤ ص٢١٠.

(١٧) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص١٦٦. (١٨) المرجع السابق ص١٥٨. (١٩) إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان لابن القيم ج١ ص٣٧١.

(٢٠) انظر تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٣٨-٢٤٤. (٢١) المهذب في فقه الإمام الشافعي ج١ ص١٨٢.

(٢٢) إلا إذا كان المستحلف ظالمًا فإن اليمين تكون على نية الحالف: انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٠ ص١٨٠-١٨٦.

وانظر حديث أبي هريرة الوارد في المتن بصحيح مسلم في كتاب الإيمان ج٣ ص١٢٧٤، وفي الأمر تفصيلات لا مجال لها الآن.



الحمد لله على نعمة الإيمان، والصلاة والسلام على خير الأنام... وبعد:

فإن العالم بأجمعه يبحث عن الأمن والأمان حتى يتمتع بحياته ويعيش باطمئنان، ولكن الأمن الحقيقي هو الذي يحدث في يوم تشيب له الولدان، قال تعالى في محكم القرآن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

قال العلامة السعدي في تفسيره (٦٤٣/١): أي يهيئون، ولأنفسهم يعمرون آخرتهم، ويستعدون بالفوز بمنازلها وغرفاتها. اهـ.

ذكرنا في الحلقة السابقة أول وسائل الأمن يوم الفزع الأكبر وهو تحقيق التوحيد لله رب العالمين.

ثانيا: الإخلاص

عن أبي أمامة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغي به وجهه». [السلسلة الصحيحة ٥٢].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٩- ١١].

هؤلاء المخلصون لا يريدون من بني آدم جزاءً ماليًا ولا ثناءً قوليًا، وإنما هدفهم وجه الله تعالى، فكان الجزاء أن وقاهم الله شر ذلك اليوم.

قال الإمام القرطبي في تفسيره (٧١٣/٨): ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: فدفع عنهم شر ذلك اليوم بأسه وشدته وعذابه.

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٥٤/١): قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص العمل لله وحده لا شريك له، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: اتبع فيه الرسول ﷺ، فإن للعمل المتقبل شرطين؛ أحدهما: أن يكون خالصًا لله وحده، والآخر: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، فمتى كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُتقبل.

الشهادة بالأمن

قال تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذا هو خاتم الأمن والأمان من الرحيم الرحمن للمخلصين يوم الفزع الأكبر.

النجاة من النار

قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٤- ٢١].

وهذا وعد من الله عز وجل للمخلص بأنه سيُزحزح عن النار ويُدخل الجنة مع الأبرار.

ثالثا: الإيمان بالله تعالى

من علامات الإيمان بالله تعالى:

١- إعمار المساجد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى

أما يخشى من ترك ذرية ضعفاء أن يضيعوا؟ فليتق الله ربه، يحفظ الله أبناءه ويرعاهم من بعده..

أولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]

٢- تحقيق الإيمان قولاً وعملاً:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ وفد عبد القيس بأربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخُمس». [صحيح مسلم].

٣- الإحسان إلى الآخرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله ولايوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». وفي رواية: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره».

[صحيح البخاري ٦١٣٨].

ومن ثمرات الإيمان

١- الأمن في الدنيا:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

قال العلامة السعدي في تفسيره (٤٤٩/١): قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يُشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقًا حلالاً طيبًا من حيث لا يحتسب.

٢- الأمن يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

هؤلاء الذين حققوا الإيمان بالله قولاً وعملاً لهم الأمن والأمان في يوم تشيب له الولدان ولكن بشرط عدم الشرك بالله، قال تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[الأنعام: ٨١، ٨٢]

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٥٦/٢): أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة.

٣- التخفيف من طول يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر».

[صحيح الجامع ٨١٩٣]

من رحمة الله عز وجل وتكريمه للمؤمنين بأن خفف عنهم طول يوم القيامة من خمسين ألف سنة إلى كما بين الظهر والعصر من اليوم.

٤- الجلوس على كراسي من ذهب:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «يشتد كرب ذلك اليوم حتى يُلجم الكافرَ العرقُ، قيل له فأين المؤمنون؟ قال: على كراسيّ من ذهب ويظلل عليهم الغمام».

[أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن]

يوم القيامة شديد الحرارة حيث تقترب الشمس من الرؤوس بمقدار ميل ويزداد حرها بضعة وستين ضعفًا في هول يوم القيامة، بينما تجد المؤمنين يجلسون على كراسيٍّ من ذهب في الظل.

٥- التمتع بنعيم الجنة:

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨- ٧٠].

معنى تحبرون: أي تنعمون وتكرمون ويأتيكم من فضل ربكم من الخيرات والسرور والأفراح واللذات ما لا تعبر الألسن عن وصفه.

[تفسير السعدي ٧٦٩]

رابعًا: تقوى الله تعالى

قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

هؤلاء الأولياء الأتقياء الأنقياء أعد الله لهم فضائل عظيمة منها:

١- البشرى في الحياة الدنيا، وتتمثل في:

أ- الثناء الجميل: في صحيح مسلم عن أبي ذر أنه قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه ويثنون عليه، فقال رسول الله ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

ب- الرؤيا الصالحة: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الحسنة هي البشرى التي يراها المؤمن أو ترى له».

[صحيح الجامع ٣٥٢٧]

ج- لطف الله وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق وصرفه عن مساوئ الأخلاق. اهـ.

[تفسير السعدي للآيات من سورة يونس]

٢- البشرى عند الموت:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

تتنزل الملائكة على المتقين عند الموت تبشرهم بعدم الخوف والحزن وتبشرهم بالنعيم في جنات رب العالمين. عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا قالت: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج».

[صحيح الجامع ١٩٦٨]

٣- البشرى بالأمن يوم الفزع:

﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال الإمام القرطبي في تفسيره (٣٢٨٤/٤): من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته ورضي عنه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي عن النار مبعدون.

٤- البشرى بالأمن للذرية في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٦].

ذلك الفوز العظيم

قال العلامة السعدي: لأنه اشتمل على النجاة من كل محظور والظفر بكل مطلوب محبوب وحصر الفوز فيه لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى. اهـ.

رزقني الله وإياكم العلم النافع والعمل الصالح. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المخلصون لا يريدون جزاءً ماليًا ولا ثناءً قوليًا، وإنما هدفهم وجه الله تعالى، فأعطاهم الله ما أرادوا ووقاهم الفزع يوم القيامة..



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

وبعد:

في هذه الحلقة نتعرف على هدي الهادي البشير في ربط الأطفال بالله تعالى عند الشدائد، وكذلك بث الثقة في نفوسهم بتكليفهم بالمهام العظيمة، فيا أخي المربي؛ حي على هدي نبينا.

(١٢٠) ويربطهم ﷺ بالله تعالى عند الشدائد وغيرها

"قال السدي وزعم أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له عوف بن مالك رضي الله عنه كان له ابن، وأن المشركين أسروه فكان فيهم، وكان أبوه يأتي رسول الله ﷺ فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ويقول له: «إن الله سيجعل لك فرجًا» فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا أن انفلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو، فاستاقها فجاء بها إلى أبيه، وجاء معه بغني قد أصابه من الغنم فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ.... ﴾(١) [سورة الطلاق: ٢، ٣] .

وفي رواية ابن أبي حاتم: قال محمد بن إسحاق: جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال له: أُسِر ابني عوف، فقال له رسول الله ﷺ: «أرسل إليه أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تُكثِر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» وكانوا قد شدُّوه بالقِدّ (ربطوه بسير من جلد) فسقط القِد عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها، وأقبل فإذا هو بسرح القوم (الماشية التي تسرح) الذين كانوا قد شدُّوه، فصاح بهم فاتَّبع أولَها آخرُها، فلم يَفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف ورب الكعبة. فقالت أمه: واسوأتاه، وعوف كيف يقدُم؟- لما هو فيه من القِد- فاستبقا البابَ والخادمُ، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصَّ على أبيه أمره وأمر الإبل، فقال أبوه: قِفا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: «اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعًا بمالك» ونزل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ.... ﴾ [سورة الطلاق:٢، ٣](٢).

السلف يرسخون العقيدة الصحيحة عند الأبناء

عن عبد الواحد بن سليم قال: قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح، فقلت له يا أبا محمد، إن أهل البصرة يقولون في القدر، قال يا بني أتقرأ القرآن ؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرف، قال: فقرأت: ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ١- ٤] .فقال: أتدري ما أم الكتاب ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض، فيه أن فرعون من أهل النار، وفيه: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] .قال عطاء: فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته: ما كان وصية أبيك عند الموت ؟ قلت: دعاني أبي فقال لي: يا بني، اتق الله، واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، فإن متَّ على غير هذا دخلتَ النار، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: «اكتُب» فقال: ما أكتب ؟ قال: «اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد»(٣). وفي رواية أن عبادة بن الصامت قال لابنه: (يا بني، إنك لن تجد طَعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ...)(٤). وقد سبق أن زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ قال: كنا نُعلَّم مغازي رسول الله ﷺ كما نُعلَّم السور من القرآن.

(١٢١) ويوكل إليهم ﷺ المهام العظيمة

إن الطفل إذا رُبِّي تربية صحيحة سليمة، على القواعد الشرعية الحكيمة ؛ فلا شك أنه يمكن في سن مبكرة الاستفادة من ذلك الطفل، وتكليفه بالمهام العظيمة، والمسئوليات الجسيمة، وبالتالي يكون عنصرًا فعالاً في الأمة، بل من الشباب من

يجعل الله سبحانه وتعالى من جهودهم وعقولهم ورجولتهم نقطة تحول في حياة الأمم على صغر سنهم. ومن أمثلة تلك المواقف العظيمة عليٌ بن أبي طالب رضي الله عنه حين بات في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ؛ متحملاً مواجهة أقوى رجالات قريش ؛ تلك المواجهة التي كان متوقعًا أن يكون من أول نتائجها ؛ قتل علي رضي الله عنه، ذلك الشاب الذي كان في مقتبل عمره وريعان شبابه، فقد كان عمره آنئذ ثماني عشرة سنة، فقال له رسول الله ﷺ: «نم على فراشي، وتَسَجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم» حتى إذا خرج النبي ﷺ وهم لا يشعرون، تطلعوا من صير الباب فرأوا عليًا، فقالوا: والله إن هذا لمحمدٌ نائمًا، عليه بُرْدُه، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. وقام عليٌ عن الفراش، فَسُقط في أيديهم، وسألوه عن رسول الله ﷺ فقال: لا علم لي به(٥). ما الذي جعل عليًا رضي الله عنه يتحمل تلك المخاطرة على حياته ؟ إنها التربية الإسلامية الصحيحة، التي جعلته يفدي النبي ﷺ بروحه، فنجاه الله كما نجّي نبيّه ﷺ. كم من الشباب مثل علي ؟!

وهذا أسامة بن زيد رضي الله عنهما، استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر، والكبار (كبار الصحابة)، فلم يَسِرْ حتى توفي رسول الله ﷺ ؛ فبادر الصدِّيق رضي الله عنه ببعثهم(٦).

قال الذهبي: لمَّا أَمَّرهُ النبي ﷺ على ذلك الجيش كان عمره ثماني عشرة سنة.

فانظر يا بُنَيَّ إلى أسامة، ذلك الشاب الصغير

بقلم / جمال عبد الرحمن

الذي جعله النبي ﷺ أميرًا على جيش فيه كبار الصحابة وفيهم عمر بن الخطاب، حتى أن عمر نفسه كان لا يلقى أسامة قط إلا قال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ! توفي رسول الله ﷺ وأنت عليَّ أمير(٧).

وهل يقول أحد إنَّ النبي ﷺ جامل أسامة حين ولأه على ذلك الجيش ؟ إن قيادة الجيش ليست مجاملة، لأن المحاربين عادةً يستهدفون القادة بالقتل أول شيء. فهل تصلح المجاملة هنا ؟ كلا والله ما يجامل النبي ﷺ أحدًا على حساب مصلحة كائنًا من كان، وهو الذي رد أسامة عيْنَه يوم جاء يشفع في امرأة من أشراف قريش سارقة، فقال له: «أتشفع في حد من حدود الله ؟» ثم قام فخطب وقال: «يا أيها الناس، إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ؛ لقطع محمد يدها»(٨).

لم يبق إلا أن نقول إنها الثمرة المباركة للتربية النبوية المباركة، والعناية والرعاية للنشء على الأسس والقواعد الشرعية التي سقى شجرتها الإسلام الحنيف.

(١) تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٨١، وتفسير الطبري ج٢٨ ص١٣٨ .

(٢) الدر المنثور، ١٩٧/٨ .

(٣) صحيح. انظر السلسلة الصحيحة (ح ١٣٣).

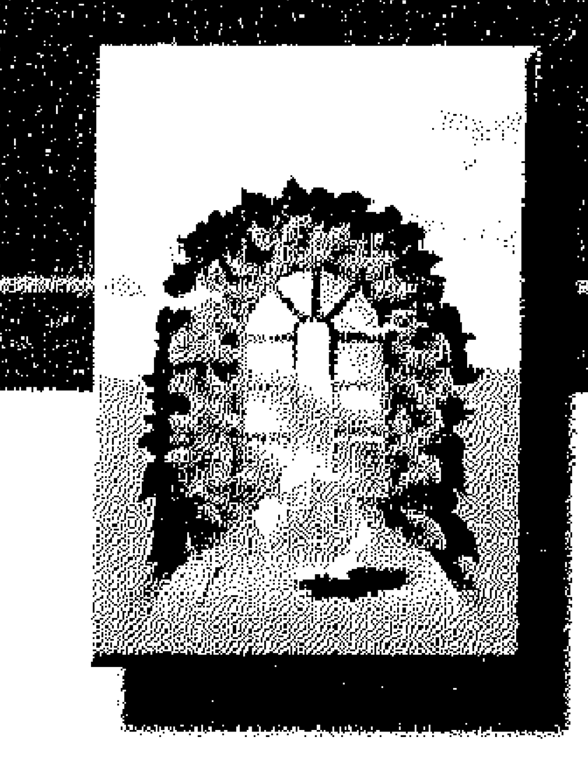
(٤) صحيح سنن ابي داود، كتاب السنة ح٢٩٣٣، وانظر السلسلة الصحيحة ح ٢٤٣٩ .

(٥) زاد المعاد لابن القيم، ٢/ ٥٢، السيرة النبوية لابن هشام ج٣ص٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء، ج٢ ص ٥٠٠ .

(٧) المصدر السابق.

(٨) البخاري - كتاب الحدود (٦٢٩٠).









الإسلام ومجتمع العفة

بقلم / شوقي عبد الصادق

الحمد لله الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن المجيد، وحفظه ربه من كل شيطان مريد. وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢].

يقول ابن كثيرفي تفسيره: والأيامى جمع أيم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له، وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما، ويقول ابن عباس: رغبهم في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه بالغنى، فقال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾.

فهذا أمر الله للأمة المسلمة أحرارها وعبيدها بأن يقيموا سنة النبيين في الزواج، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] لعلمه سبحانه بأن الزواج هو أقرب السبل وأقصر الطرق إلى حفظ الفروج وغض الأبصار وحرث الذرية الأبرار، فينتشر الإحصانُ والعفافُ وتزول المخادنة والسفاح، ومن لا يجد النكاح به فليستجب أيضًا إلى أمر ربه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٣]. فهذا أمر الله تعالى بالتعفف من الحرام، وأما الخطوات العملية لذلك التعفف فنجدها منثورة في آيات القرآن الكريم وأحاديث سيد المرسلين ﷺ، منها ما يجب عمله في داخل الإنسان نفسه، ومنها ما هو في البيوت، ومنها ما هو خارج البيوت، حتى تظلل المجتمع المسلم سحائب العفة وتصان فيه الأعراض وتحفظ الذرية والأنساب، فما الذي يجب عمله وصولاً إلى العفة؟

أولاً: على المسلم أن ينفذ وصية النبي ﷺ فيما رواه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». ومعنى كلمة «وجاء» أي: خصاء وقاطع للشهوة، فخير معين للشاب غير القادر على الزواج كي يتعفف أن يكثر من صيام النوافل:كصيام الاثنين والخميس، أو صوم يوم وفطر يوم كصيام داود عليه السلام.

ثانيًا: شرع الإسلام الختان تهذيبًا لشهوة المرأة؛ لما رواه أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لأم عطية: «إذا أخفضت فأشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى للزوج» [السلسلة الصحيحة].

يقول الشيخ جاد الحق رحمه الله شيخ الأزهر السابق: وهذه الروايات وغيرها تحمل دعوة النبي ﷺ إلى ختان النساء ونهيه عن الاستئصال وعلل هذا بقوله: «فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج». وهذا التوجيه النبوي إنما هو لضبط ميزان الحس الجنسي عند الفتاة، فأمر بالخفاض لضبط الاشتهاء مع الإبقاء على لذات النساء واستمتاعهن مع

أزواجهن، ونها عن إبادة مصدر هذا الحس، وبذلك يتحقق الاعتدال، فلم يعدم المرأة مصدر الاستمتاع والاستجابة ولم يبقها دون خفض فيدفعها إلى الاستهتار وعدم القدرة على التحكم في نفسها عند الإثارة. اهـ.

ثالثًا: وفي البيت أمر الإسلام بالتفريق بين الإخوة في المضجع، وذلك حتى ينشأ البنون والبنات على العفة وهم في قعر بيتهم. فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع»(١).

ورابعًا: نهى الإسلام عن الدخول على الأجنبيات والخلوة بهن؛ لما في الصحيحين من حديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحَمْوَ؟ قال: «الحَمْوُ الموت»(٢).

أي لقاء الحمو مثل لقاء الموت؛ إذ الخلوة به تؤدي إلى هلاك الدين إذا وقعت المعصية وهم أقارب الزوج (غير آبائه وأبنائه لأنهم محارم للزوجة) والمراد بهم الأخ وابن الأخ ونحوهما ممن يحلّ لهم الزواج بامرأته لو لم تكن متزوجة، وجرت العادة بالتساهل في هذا الدخول فيخلو الأخ بامرأة أخيه وهو أولى بالمنع من الأجنبي، فالشر به أكثر من الأجنبي والفتنة به أمكن لسهولة وصوله إلى المرأة، وفي الصحيحين أيضًا من حديث ابن عباس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم»(٣).

وخامسًا: وفي خارج البيت حرم الإسلام النظر إلى محاسن المرأة، وكذا نظر النساء بشهوة إلى الرجال، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، وقال ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله أورث الله قلبه حلاوة إلى يوم يلقاه»(٤). وقال ﷺ: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»(٥).

ومعلوم أن النظرة الأولى هي نظرة الفجاة وليست النظرة التي تكون عن عمد أو التي يستمرئها صاحبها فتدوم ساعة، ثم يقول: هذه هي الأولى، ولكن مفهوم السياق أن الأولى هي نظرة الفجاة.

ويلحق بحرمة النظر إلى محاسن المرأة حرمة النظر بشهوة إلى الأمرد وهو الأجرد ومن لم تنبت له لحية، وكل هذا درءٌ للفتنة وحسم لمادة الشر؛ لقول النبي ﷺ فيما رواه الشيخان عن أسامة بن زيد: «ما تركتُ بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء»(٦).

سادسًا: وخارج البيت نهي الإسلام عن الجلوس في الطرقات سدًا لباب النظر ونشرًا للعفة لما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات». فقالوا: ما لنا بد منه، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها». قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر»(٧).

سابعًا: عدم خضوع المرأة بالقول أمام الرجال؛ لقوله تعالى آمرًا نساء

•• وسائل العفة في مجتمع المسلمين منها ما هو في داخل الإنسان نفسه ومنها ما هو في البيوت ومنها ما هو خارج البيوت

•• من مقومات نشر العفة في المجتمع تحريم الغناء، والنظرة المحرمة والجلوس في الطرقات بغير حاجة

النبي ﷺ والأمر لكل المؤمنات: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ولحديث أبي هريرة عند مسلم: «والأذنان زناهما الاستماع»(٨).

ثامنًا: عدم تعطر المرأة عند الخروج، وإن كان خروجها لأداء الصلاة في المسجد الحرام؛ لحديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت ثم مرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية»(٩).

ولحديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل اغتسالها من الجنابة»(١٠). فلا بد من إزالة هذا العطر قبل خروجها ولو بالاغتسال.

تاسعًا: لا تصافح النساء الرجال ولا الرجال النساء غير المحارم؛ لأن هذه المصافحة ضرب من الزنى؛ لحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»(١١).

ولحديث: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»(١٢).

عاشرًا: نهى الله المرأة أن تثير الرجال بمشيتها ولباسها، فقال تعالى: ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وفي معنى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ يقول ابن كثير: أي إذا فعلن ذلك عُرفن أنهن حرائر لسن بإماء ولا عواهر، وقال السدي: كان ناس من أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة فكفوا عنها وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب، قالوا: هذه أمة فوثبوا عليها. وقال مجاهد يتجلبن فيُعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة. اهـ.

فإذا أرادت المسلمة أن تكون أمة لله حقًا حرة من عبودية التقاليد الجاهلية أرخت عليها جلبابها إذا خرجت من بيتها للضرورة وسترت جميع بدنها وزينتها لتُعرف أنها أمة الله حقًا.

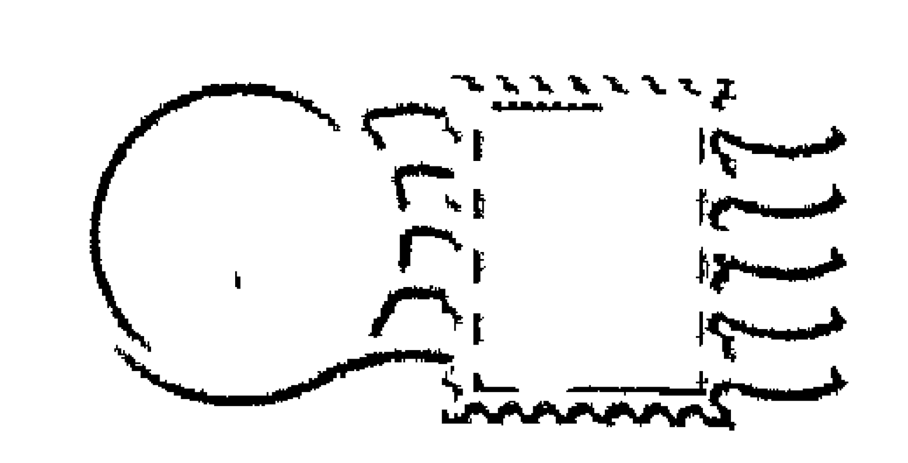
وحادي عشر: ومن مقومات نشر العفة في المجتمع المسلم تحريم الغناء المحرم والموسيقى والصور الماجنة والمجلات الفاحشة التي تنشر العهر وفضائح الناس فيتجرأ الذي في قلبه مرض على الفاحشة ويسود الشر وينزوي الخير قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، وفي قراءة: «ليَضل» (بفتح الياء) فيكون المعنى أن الغناء المحرم ولهو الحديث إما يضل الغير، وإما يضل المشتري له، ولقول النبي ﷺ: «ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحِر والحرير والخمر والمعازف»(١٣). والحِر أي الفرج، والمعازف: آلات العزف والموسيقى.

ولا يجوز إصدار المجلات التي تشتمل على نشر الصور النسائية الخليعة أو أخبار حوادث الزنى واللواط والفواحش أو شرب المسكرات أو نحو ذلك مما يروج للباطل ويعين عليه، ولا يجوز العمل في مثل هذه المجلات لا بالكتابة ولا بالترويج والبيع لما في ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، ونشر الفساد في الأرض، والدعوة إلى إفساد المجتمع ونشر الرذائل، أفتى بذلك أهل العلم.

وفي الختام نسأل الله أن يستر عوراتنا، وأن يؤمن روعاتنا، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الهوامش:

(١) ابن كثير (٣/٢٧٧).
(٢) الصحيحة برقم (٧٢٢).
(٣) صحيح الجامع (٥٨٦٨).
(٤، ٥) اللؤلؤ والمرجان (١٤٠٣، ٨٥٠).
(٦، ٧) صحيح الجامع (٧٨٣٠، ٧٩٥٣).
(٨، ٩) اللؤلؤ والمرجان (١٧٤٤، ١٣٧٤).
(١٠) مسلم (ج٤ ح٢٦٥٧).
(١١، ١٢) صحيح الجامع (٣٢٣، ٢٧٠٣).
(١٣) مختصر مسلم (١٨٥٠).
(١٤) صحيح الجامع (٥٠٤٥).
(١٥) البخاري معلقًا.



■ ■ يسأل القارئ: عوض محمود السيد - كفر الشيخ عن درجة هذا الحديث:

« من بات طاهرًا بات في شعاره ملك، فلا يستيقظ من الليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك كما بات طاهرًا ».

والجواب بحول الملك الوهاب: أنه حديث ضعيف.

أخرجه البزار (٢٨٨- زوائد) قال: حدثنا وهب بن يحيى بن زمام القيسيُّ، ثنا ميمون بن زيد، ثنا الحسن بن ذكوان، عن سليمان الأحول، عن عطاء، عن ابن عمر مرفوعًا فذكره. وميمون بن زيد لينه أبو حاتم، ولكن تابعه ابنُ المبارك، فرواه عن الحسن بن ذكوان بهذا الإسناد. أخرجه ابنُ حبان (١٠٥١) من طريق أبي عاصم أحمد بن جوَّاس الحنفي، حدثنا ابن المبارك بهذا. وأحمد بن جوَّاس أحد شيوخ مسلم وأبي داود وثقه مطيِّنٌ، وابن حبان وأبو علي الغساني ومسلمة بن قاسم، وروى عنه محمد بن مسلم بن وارة وأحسن الثناء عليه، وقد خالفه الحسين بن الحسن المروزي أحد الثقات، ومن أصحاب ابن المبارك، فروى هذا الحديث في «كتاب زهد ابن المبارك» (١٢٤٤) قال: أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا الحسن بن ذكوان، عن سليمان الأحول، عن عطاء، عن أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه ابنُ عدي في «الكامل» (٢/٧٣٠) من طريق سويد بن نصر والحسن بن عيسى بن ماسرجس قالا: ثنا ابن المبارك بهذا الإسناد. وكذلك أخرجه الدارقطني في «الأفراد»- كما في «أطراف الغرائب» (٥/٢٣٤)- عن ابن المبارك بمثله. فجعله هؤلاء عن ابن المبارك من «مسند أبي هريرة» بدل «ابن عمر»، وليس على واحدٍ من الرواة عن ابن المبارك عهدة هذا الخلاف، ويدلُّ على ذلك أن أحمد بن الجواس رواه عن ابن المبارك فجعله من «مسند أبي هريرة» أيضًا كما عند ابن عدي. وقد قال الدارقطني: «غريب من حديث سليمان الأحول خال ابن أبي نجيح عنه، تفرد به: الحسن بن ذكوان، وعنه عبد الله بن المبارك». وإنما تقع عهدة هذا الاختلاف على الحسن بن ذكوان، فقد ضعفه أكثر النقاد: أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي وابن المديني والدارقطني، ومشاهُ ابنُ عدي، وكان يدلس ولم يصرح بتحديثٍ، ولذلك لم يُصب الهيثميُّ إذ قال في «مجمع الزوائد» (١/٢٢٦): «أرجو أنه حسن الإسناد»، وقد رأيت ما فيه لا سيما وقد وقع اختلاف فيه على عطاء بن أبي رباح. فقد رواه سليمان الأحول عنه مرَّة عن ابن عمر ومرة عن أبي هريرة. ورواه العباس بن عتبة عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباسٍ مرفوعًا «طهروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس من عبدٍ يبيت طاهرًا، إلا بات معه في شعاره ملك، لا ينقلبُ ساعةً من الليل إلاَّ قال: اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهرًا». أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٠٨٧) قال: حدثنا محمد بن العباس المؤدب، قال: نا عاصم بن عليّ، قال: نا إسماعيل بن عياش، عن العباس بن عتبة، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس مرفوعًا، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن عطاء بن أبي رباح إلاَّ العباس بن عتبة، تفرد به: إسماعيل بن عياش». وجوَّد إسناده المنذري في «الترغيب» (٨٦٨) والحافظ في «الفتح» (١١/١٠٩)، وحسنه الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٢٨)، كذا قالوا، وقد علمت مما مضى من التخريج أن هذا أحد أوجه الاختلاف في الحديث، والعباس بن عتبة ذكره الذهبي في «الميزان» (٢/٣٨٤)، وقال: «عن عطاء لا يصح حديثه، وعن إسماعيل بن عياش»، وذكر هذا الحديث، فظاهر من هذه الترجمة أنه مجهول فكيف يجوِّد إسناد حديثه مع ما فيه من الاختلاف.

والصوابُ أنه حديث ضعيف كما قدَّمت. واللهُ أعلمُ.

■ ■ ويسأل القارئ: رباح عبد العظيم- قويسنا محافظة المنوفية عن درجة هذه الأحاديث:

١- إن حافتي نهر الكوثر من قباب اللؤلؤ المجوف.

٢- إن أنهار الجنة تجري في غير أخدود.

والجواب بحول الملك الوهاب: أما الحديث الأول: «إن حافتي نهر الكوثر...» فصحيح.

أخرجه البخاري في «كتاب الرقاق» (٤٦٤/١١) قال: حدثنا أبو الوليد، حدثنا همام، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ. ثم قال البخاريّ: وحدثنا هُدبةُ بن خالد، حدثنا همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالكٍ، عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسيرُ في الجنة، إذ أنا بنهر، حافتاه: الدُّرُّ المجوفُ. قلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبُهُ- أو طينُهُ- مسكٌ أذفر» شكٌّ هُدْبةُ.

قُلْتُ: وشكُّهُ: هل هو بالباء الموحدة من «الطيب» أو هو بالنون من «الطين»؟ والصوابُ الراجح أنه بالنون، يدلُّ على ذلك أن بقي بن مخلد رواه في «جزء ما روي في الحوض والكوثر» (٣٦) قال: حدثنا هُدْبةُ بن خالد، نا همام بسنده سواء، وفيه: «فضرب الملك بيده، فإذا طينتُهُ مسك أذفر». وأخرجه أبو يعلى (٢٨٧٦)، والبيهقي في «الشعب» (١١٧) من طريق الحسن بن الطيب اللخمي، قالا: ثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ بهذا الإسناد بالنون. فهذا يدلُّ على أن هدبة كان يشك أحيانًا، وقد رواه البخاري عن شيخه أبي الوليد، عن همام فلم يشكَّ. وأخرجه أحمد (١٩١/٣، ٢٨٩) قال: حدثنا بهز بن أسد وعفان بن مسلم، قالا: ثنا همام بهذا الإسناد فقالا: «طينُهُ» بالنون. وأخرجه الطيالسيّ (١٩٩٢) قال: حدثنا همام، عن قتادة بهذا وفيه: «فأدخلت يدي، فإذا ترابُهُ مسك أذفر». وهذا يؤكد أنه بالنون. وأخرجه الخلعي في «الخلعيات» (ق١٣٨/١) من طريق عفان، ثنا همام مثله. وأخرجه أحمد (٢٣١/٣- ٢٣٢)، وأبو محمد بن فارس في «جزء من حديثه» (ق٣٥٣/١)، وابن بشران في «الأمالي» (ج١/ق٢١٩/٢) عن عبد الوهاب بن عطاء الخفاف. وابنُ جرير في «تفسيره» (٣٢٣/٣٠)، وابن حبان (٦٤٧٤)، والآجري في «الشريعة» (ص٣٩٥- ٣٩٦) عن يزيد بن زريع، كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس مرفوعًا وفيه: «وضرب- يعني: الملك- بيده، فأخرج من طينه المسك». وسنده صحيح، ويزيد بن زريع وعبد الوهاب من قدماء أصحاب سعيد بن أبي عروبة. وأخرجه البخاري (٧٣١/٨)، وأبو داود (٤٧٤٨)، والترمذي (٣٣٥٩، ٣٣٦٠)، وعبد بن حميد (١١٨٩)، وأحمد (١٦٤/٣، ٢٠٧)، وابن جرير (٣٢٣/٣٠- ٣٢٤)، والبيهقي في «البعث» (١١٥، ١١٨) من طرق عن قتادة، عن أنس مرفوعًا نحوه. ورواه عن قتادة: معمر بن راشد، وشيبان بن عبد الرحمن التيميُّ، والحكم بن عبد الملك، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أما الحديث الثاني: «إن أنهار الجنة تجري في غير أخدود» فضعيف مرفوعًا.

أخرجه ابن مردويه في «تفسيره»- كما في ابن كثير (٢٩٧/٧)- وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٥/٦)، وفي «صفة الجنة» (٣١٦) من طريق مهدي بن حكيم، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا الجريري، عن معاوية بن قُرَّة، عن أنس مرفوعًا: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدودٌ؟ لا والله! إنها لسائمةٌ على وجه الأرض، حافتاها خيامُ اللؤلؤ، وطينُها المسك الأذفرُ». قلت: يا رسول الله، وما الأذفر؟ قال: «الذي لا خلط فيه»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣٨/١) للضياء المقدسي في «صفة الجنة».

قلت: وهذا إسنادٌ ضعيف، والجريري اسمه: سعيد بن إياس الجريري، كان اختلط، وسماع يزيد بن هارون منه في الاختلاط، وقد اضطرب فيه، فرواه يعقوب بن عبيد وبشر بن معاذ كلاهما عن يزيد بن هارون بهذا الإسناد موقوفًا. أخرجه ابن أبي الدنيا (٦٩)، وأبو نعيم (٣١٦) كلاهما في «صفة الجنة». ورجح المنذري في «الترغيب» (٥١٨/٤) وقفه وقال: «هو أشبه بالصواب». وطريق المرفوع والموقوف واحد. فلعلَّ قائلاً يقول: لا يصحُّ المرفوع ولا الموقوف. فالجوابُ: إن طريقة العلماء في مثل هذا أن يأخذوا بالأقل، لأنه الموافق للاحتياط. والله أعلمُ. وللموقوف شاهدٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما. أخرجه

ابنُ أبي الدنيا في «صفة الجنة»- كما في «الترغيب» (٥١٨/٤)- يرويه عن سماك، أنه لقي ابن عباس بالمدينة بعدما كُفَّ بصرُهُ، فقال: يا ابن عباس؛ ما أرضُ الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآةٌ، قلتُ: ما نورُها؟ قال: ما رأيت الساعة التي يكون فيها طلوعُ الشمس؟ فذلك نورُها، إلا أنها ليس فيها شمس ولا زمهرير. قال: قلت: فما أنهارها في أخدود؟ قال: لا، لكنها تجري في أرض الجنة مستكفَّةً لا تفيض هاهنا ولا هاهنا، قال الله لها: كوني، فكانت. قلت: فما حُلل الجنة؟ قال: فيها شجرةٌ فيها ثمرٌ كأنه الرُّمَّان، فإذا أراد وليُّ الله منها كسوةً، انحدرت من غصنها، فانفلقت له عن سبعين حُلَّة ألوانًا بعد ألوان، ثم تنطبق فترجع كما كانت.

وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣١٧) من طريق زميل بن سماك، أنه سمع أبان يقول: قلت لابن عباس فذكر الشاهد منه. وزميلٌ هذا ترجمه ابن أبي حاتم (٦٢٠/٢/١)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وحسَّن إسناده المنذري؛ ولو كان إسنادُ ابنُ أبي الدنيا مثل إسناد أبي نعيم ففي تحسين إسناده نظر. والله أعلمُ. ويعضد هذا الموقوف بعض الشواهد المقطوعة، منها ما: أخرجه ابن أبي شيبة (٩٧/١٣)، وهناد بن السريّ في «الزهد» (٩٥، ١٠٣)، والمروزي (١٤٨٩)، وابنُ صاعد (١٤٩٠) كلاهما في «الزوائد على الزهد» لابن المبارك، وابنُ جرير في «تفسيره» (٥٠٩، ٥١٠، ٥١١)، وابن قتيبة في «غريب الحديث» (٥٢٢/٢)، والبيهقي في «البعث» (٢٩٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣١٥) من طرقٍ عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن مسروق قال: «أنهار الجنة تجري في غير أخدود، وثمرها كالقلال، كلما أخذ ثمرةً عادت مكانها أخرى، والعنقود: اثنا عشر ذراعًا». قال عمرو بن مرة: فقلت لأبي عبيدة: من حدثك؟ فغضب وقال: مسروق. وسنده صحيحٌ.

وأخرج أبو نعيم (٣١٨) من طريق إبراهيم بن محمد بن الحسن، ثنا عبد الجبار بن العلاء، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت عبيد بن عمير يقول: «أرض الجنة مستويةٌ، لا تُكَلَّمُ- يعني: لا تُشقُّ ولا تُخَدُّ- أنهارها».

وسندُهُ جيد، وإبراهيم بن محمد؛ ترجمه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٨٩/١) وأثنى عليه.

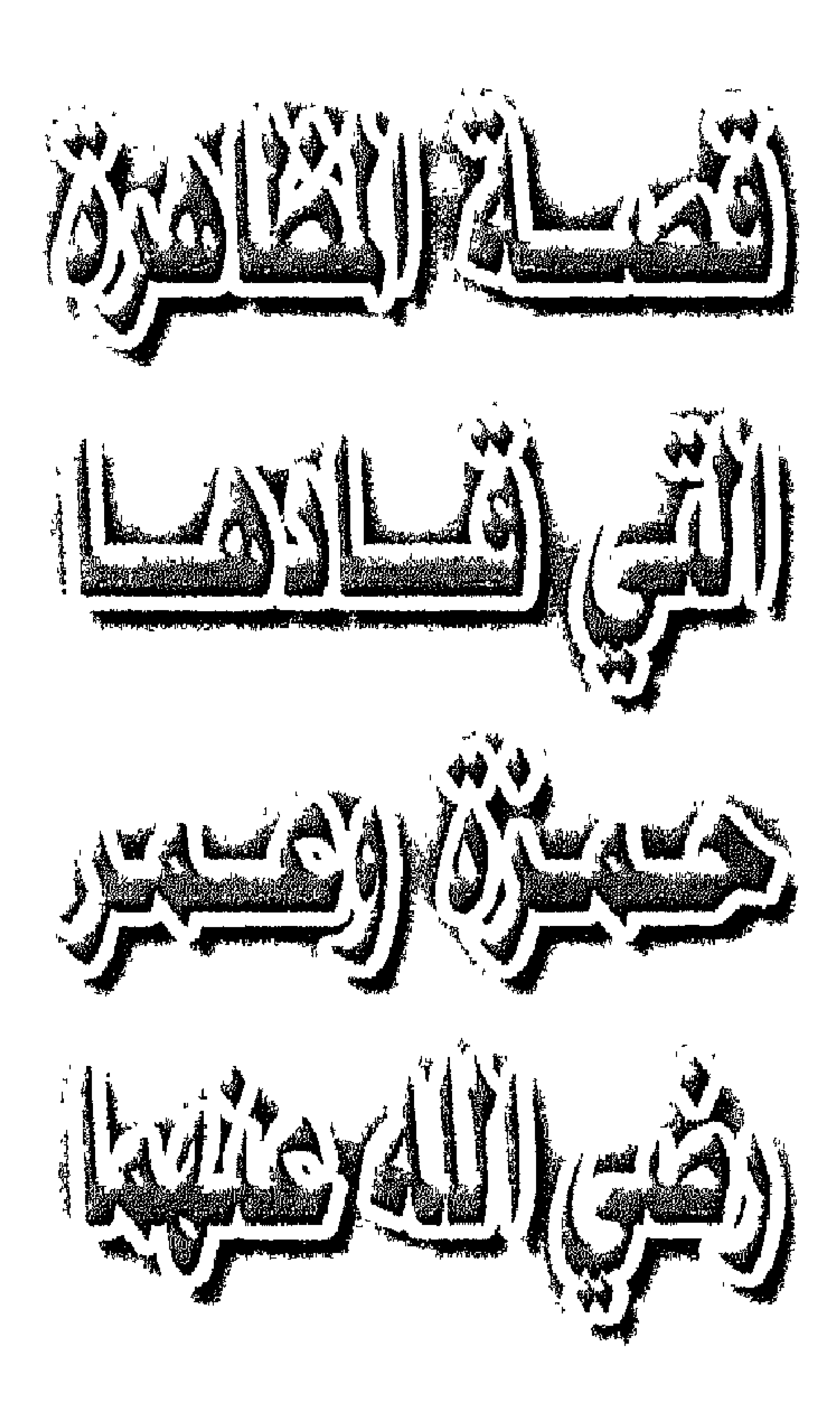
فاجعة الخبر

إنَّ حكم الله لا محالة نافذ، وأمره لا شك واقع، ولا نملك إلا أن نمتثل بهدي رسول الله ﷺ ونقول: «اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها».

ففي يوم الجمعة الثاني عشر من شهر صفر من عام خمس وعشرون وأربعمائة وألف، فارق الدنيا وانتقل إلى رحمة الله ورضوانه بإذنه سبحانه وتعالى، فضيلة الشيخ عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم رحمه الله رحمةً واسعةً، فهذا الشيخ الكريم له محبين في جميع البلدان الإسلامية، لما للشيخ من علم وافر ومنهج واضح واتصافه بحسن الخلق ولين الجانب مع تواضع جم، مما يجعل خبر وفاته فاجعة لمن تلقى الخبر، وإن مما رأيناه من حب الشيخ وبكاء عليه، وحزن لفقده لهو علامة خير ودليل رشاد وأمارة فلاح فالأنفس متحسرة والدموع واكفة، وحُقّ لها ذلك.

وجماعة أنصار السنة المحمدية تسأل المولى العلي القدير أن يجعل مثواه الجنة وأن يجمعنا به في دار كرامته مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الحلقة الرابعة والأربعون



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت واتخذها أصحاب المظاهرات دليلاً على مشروعيتها.



بقلم
علي حشيش

أولا: متن القصة

رُوِي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «شرح الله صدري للإسلام، فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إليَّ من نسمة رسول الله ﷺ، قلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت أختي: هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا، فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله ﷺ في البيت، فضربت الباب فاستجمع القوم جلوسًا في الدار، ورسول الله ﷺ في البيت، فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر، قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه ثم نثره نثرة فما تمالك أن وقع على ركبته، فقال: «ما أنت بمنته يا عمر؟».

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. فقلت: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم». فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن فأخرجنا في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر لنا كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد، فنظرتْ إليَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها.

ثانيا: التخريج

القصة أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (٤٠/١) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا محمد بن أبان عن إسحاق بن عبد الله عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب به.

قلت: وبهذا السند أخرجها أبو نعيم في «الدلائل» (١٩٤).

ثالثا: التحقيق:

هذه القصة واهية وعلتها: «إسحاق بن عبد الله».

١- أوردها الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٣٦٢/٥٧/٢) وقال: «إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة روى عن أبان بن صالح». اهـ.

٢- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٠): «متروك الحديث».

قلت: وهذا المصطلح له معناه حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٣- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الكبير» ترجمة (٢٠): «إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: تركوه».



٤- قال الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٩٤): «متروك». اهـ.

٥- وقال علي بن الحسن الهسنجاني، عن يحيى: كذاب. كذا في «تهذيب الكمال» (٦١/٢).

٦- وقال ابن حبان في «المجروحين» (١٣١/١): «كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل وكان أحمد بن حنبل ينهى عن حديثه».

٧- قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٢٨/٢) رقم (٧٩٢): «سمعت أبي يقول: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: متروك الحديث».

ثم أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن يحيى بن معين قال: «إسحاق بن أبي فروة كذاب». وبسند آخر عن يحيى أنه قال: «إسحاق بن أبي فروة لا شيء كذاب».

ثم قال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زُرْعة يقول: «إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ذاهب الحديث متروك الحديث».

ثم أخرج ابن أبي حاتم بسنده إلى عمرو بن علي الصيرفي أنه حدثه «بأن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك الحديث».

٨- قلت: ولقد بين هذا الترك ابن عدي في «الكامل» (٣٢٦/١) (١٥٤/١٥٤) في ترجمة بلغت أكثر من ثمانين سطرًا ختمها قائلاً: «وإسحاق بن أبي فروة هذا ما ذكرت هاهنا من أخباره بالأسانيد التي ذكرت فلا يتابعه أحد على أسانيده، ولا على متونه، وسائر أحاديثه مما لم أذكره تشبه هذه الأخبار التي ذكرتها وهو بيّن الأمر في الضعفاء». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق يتبين الآتي:

١- أن مذهب النسائي لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه.

٢- تبين حقيقة أخبار إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة فلا يتابعه أحد على أسانيده ولا على متونه.

٣- وعلى هذا تكون القصة واهية وسندها تالف والخبر موضوع.

رابعا: قرائن تدل على عدم صحة القصة:

١- لقد بوّب الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب «مناقب الأنصار» بابًا برقم (٣٥): «إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه» وتحت هذه الترجمة أخرج حديث (٣٨٦٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لما أسلم عمر، اجتمع الناس عند داره وقالوا: صبأ عمر- وأنا غلام فوق ظهر بيتي- فجاء رجل عليه قباء من ديباج، فقال: قد صبأ عمر، فما ذاك فأنا له جار؟ قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه، فقلت: من هذا؟ فقالوا: العاص بن وائل».

٢- وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٨١/٣) في إسلام عمر بن الخطاب: قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي. فغدا عليه. قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ؟

قال: فوالله، ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر، واتبعته أنا، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن ابن الخطاب قد صبأ.

قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلَح فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا.

قال: فبينما هم على ذلك؛ إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟

فقالوا: صبأ عمر. قال: فمه؛ رجل اختار لنفسه أمرًا، فماذا تريدون؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

قال: فوالله، لكأنما كانوا ثوبًا كُشِطَ عنه.

قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذي زَجَرَ القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟

قال: ذاك أي بني، العاص بن وائل السهمي.

وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر؛ لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وكانت أُحد في سنة ثلاث من الهجرة، وقد كان مميزًا يوم أسلم أبوه، فيكون



إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين. والله أعلم.

قلت: وأورد هذه القصة أيضًا الحافظ ابن كثير في كتاب «السيرة النبوية» نقلاً عن ابن إسحاق ثم ذكر هذا التحقيق، وكذا ابن هشام في «السيرة النبوية» (٤٣٧/١) (ح٣٣٤) نقلاً أيضًا عن ابن إسحاق، وكذا ابن الأثير في «أسد الغابة» (١٥٠/٤) نقلاً عن ابن إسحاق، وأخرجه الحاكم (3/85) من طريق ابن إسحاق، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي وكما بينا آنفًا قال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد قوي».

قلت: ويزداد قوة بأن البخاري أخرجه (ح٣٨٦٤) من طريق أخرى عن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: «بينما هو- يعني عمر -في الدار خائفًا...» الحديث بلفظه كما بينا آنفًا.

خامسا: الصبر والثبات في الشدة- لا المظاهرات:

أخرج البخاري في «صحيحه» (ح٣٨٥٢) من حديث خباب بن الأرت قال: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة- وقد لقينا من المشركين شدة- فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله».

قلت: وأخرج هذا الحديث أيضًا الإمام البخاري (ح٣٦١٢) من حديث خباب وفيه قال رسول الله ﷺ: «والله ليَتِمَّن هذا الأمرُ حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون». وفي الحديث (٦٩٤٣) «و» بدلاً من «أو».

قلت: هذا الحديث يبين لنا تربية النبي ﷺ للصحابة في الشدائد على الصبر، والثبات واليقين في وعد الله وعدم الاستعجال عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

سادسا: الدعاء عند الشدائد لا المظاهرات:

١- أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٨٥٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «بينا النبي ﷺ ساجدًا وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع، فقال النبي ﷺ: اللهم عليك الملأ من قريش، أبا جهل بن هشام، وعتبة بن أبي ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، فرأيتهم قتلى يوم أحد فألقوا في بئر غير أمية بن خلف تقطعت أوصاله فلم يلقى في البئر».

رعل وذكوان ولحيان وعُصية عصت الله. قال أنس: أنزل الله في الذين قتلوا ببئر معونة قرآنًا قرأناه حتى نُسخ بعد أن بلّغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه. اهـ.

سابعا: النفير لا المظاهرات

أخرج البخاري في «صحيحه» (ح٣٠٧٧) ومسلم (ح١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال: ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

قلت: هذه هي السنة عند الشدائد: الصبر والثبات واليقين وعدم الاستعجال، خاصة في حالة الاستضعاف، ثم النفير في حالة تجميع الأمة وإعداد ما استطاعت من قوة والدعاء في الحالين.

أما المظاهرت فما هي إلا جعجعة. قال صاحب «مختار الصحاح» (ص١٠٥): «الجعجعة صوت الرحى، وفي المثل أسمع جعجعة ولا أرى طِحْنا بكسر الطاء أي دقيقًا». اهـ.

وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

هل تزكى أموال بيت المال؟

يسأل سائل: جمعية خيرية أهلية تقوم بتقديم خدمات ومساعدات اجتماعية من خلال أنشطتها المختلفة التي تُدِرُّ أرباحها لتغطية هذه المشروعات الخيرية، فهل على أموال هذه الجمعية زكاة؟ وخصوصًا أن رأس مالها يزيد بزيادة الأرباح، وكيف يتم حسابها وإخراجها؟

الجواب: من شروط إيجاب الزكاة أن يكون المال مملوكًا ملكًا تامًا للمسلم، وهذا المال المسئول عنه ليس له مالك، بل هو من تبرعات أهل الخير للفقراء والمساكين، وعليه فلا تجب الزكاة على أموال هذه الجمعية في هذا المال.

إدارة أموال السجين

يسأل سائل: رجل أدخل السجن وما يزال إلى الآن، وله مبلغ من المال معي فقمت بتشغيل ماله معي في زراعتي حتى أصبح هذا المال الآن مضاعفًا ويبلغ النصاب منذ أكثر من سنة، ولم أُزَكِّ عنه حتى الآن، فهل أحتفظ به حتى يخرج ويقوم هو بإخراج الزكاة عنه أم أقوم أنا بإخراج الزكاة عن هذا المال نيابة عنه؟

الجواب: جزاك الله خيرًا على أمانتك ونصحك لأخيك، وأنت الآن بمنزلة وكيله في ماله، فأخرج عنه الزكاة، وقيّد ذلك عندك، حتى إذا رجعه الله عرف ماله وماذا أخرجت منه.

زكاة الزروع على المستأجر وليس على المالك

يسأل سائل: رجل استأجر أرضًا من مالكها ليزرعها، فهل تجب الزكاة عليه أم على مالك الأرض؟

الجواب: الزكاة واجبة على من زرع، لا على المالك.

ستر العورة في الصلاة

يسأل سائل: ما حكم الصلاة في «البنطلون» إذا كان يجسم العورة أو في ثوب شفاف يظهر لون البشرة للفخذ تحته؟ وما الحكم في صلاة المامومين خلفه؟

الجواب: من شروط صحة الصلاة ستر العورة، فإذا صلى المصلي في ثياب رقيقة شفافة يظهر منها لون الجلد فصلاته باطلة، وأما الصلاة في البنطلون فأقل أحوالها الكراهة لأنها تجسّم العورة، وليس المقصود من ستر العورة ستر اللون فقط، بل المقصود أعمّ من ذلك. والله أعلم.

الإنفاق بعد إخراج الزكاة

يسأل سائل: أنا رجل موسر- والحمد لله- وأخرج زكاة مالي وزكاة الفطر- ولله الحمد- لكن قال لي أحد الإخوة بإنه يجب في مالي حق آخر بخلاف زكاة المال والفطر لأن لي أقارب فقراء، فهل تجب النفقة على أقاربي المحتاجين، وما هي حدود القرابة التي تجب النفقة عليهم؟

الجواب: قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ







مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال ابن كثير (١/٢٥١): «معنى الآية: يسألونك كيف ينفقون؟ قاله ابن عباس ومجاهد، فبين لهم تعالى ذلك، فقال: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ...﴾ إلخ أي اصرفوها في هذه الوجوه، كما جاء في الحديث: «أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك» اهـ.

فأنفق على المحتاجين من الأقربين إذا احتاجوا وإن كنت أخرجت الزكاة وذلك من صدقة التطوع، واعلم أنهم أولى بزكاتك من غيرهم ما داموا من أهلها؛ لقوله ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة». [صحيح النسائي ٢٥٨١].

زكاة السيارات

يسأل سائل: رجل اشترى سيارة تعمل بالأجرة وتُسَدَّد أقساطها تدريجيًا وأصل ثمنها (٥٠,٠٠٠ جنيه) فهل عليها زكاة أم يُشترط سداد الأقساط أولاً، وإذا سددت السيارة أقساطها فكيف أُخرج زكاتها؟

الجواب: ليس في عيْن السيارة زكاة قبل تسديد ثمنها ولا بعده، ولكن إذا أدرَّت عليك دخلاً وادخرت منها ما يبلغ النصاب ففيه الزكاة إذا حال عليه الحول.

الزكاة لمن لم يجد عملاً

يسأل سائل: مِن الفقراء من يكونون قادرين على الكسب- لكن يحتج أحدهم بأنه لا يجد عملاً- فهل هؤلاء يستحقون من الزكاة أم لا؟

الجواب: إذا كنت تعرف وتطلع على أحواله وتعلم أنه فعلاً يسعى للعمل ولا يجد فلا مانع من إعطائه، وأما إذا كنت تعلم أنه يغلب عليه الكسل ويخلد إلى الأرض فلا تعطه.

سداد دين الميت من الزكاة

يسأل سائل: هل يجوز إخراج زكاة المال لسداد دين على متوفى لم يترك تركة يمكن الوفاء فيها، وهل يعتبر هذا المتوفى غارمًا، من الأصناف التي تستحق الزكاة؟

الجواب: تم الجواب على هذا السؤال في المجلة عدد شوال سنة ١٤٢٤هـ ص٥٨ تحت عنوان «دين الميت الفقير».

علاج الوسواس القهري

يسأل سائل: هل من علاج لمرض الوسواس القهري والأمراض النفسية الأخرى والتي قد ابتلانا الله بها في هذا العصر- أقصد علاجًا من القرآن-؟

الجواب: علاج الوسواس يتمثل في الإكثار من ذكر الله، والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، ومنها قراءة سور الإخلاص والمعوذتين، فمن استعاذ بالله أعاذه. وكذلك آية الكرسي والرقية بها وبسورة الفاتحة وغير ذلك من الرقى الشرعية.

رجل محب للناس أكثر من حبه لدينه

يسأل سائل: ما حكم رجل لا يصلي ويسب الدين دائمًا عند الغضب- ليس عنده أي معرفة بدينه- مع ذلك فهو يحب الناس جدًا ويساعدهم كثيرًا، فهل هو كافر أم مسلم؟

الجواب: سبّ الدين كفر بالله عز وجل، وترك الصلاة من أكبر الكبائر، وإن كان تركها جحودًا وإنكارًا فهو كافر خارج عن الإسلام، وإن تركها تهاونًا بها، مع اعتقاد وجوبها فقد قال بعض الأئمة بكفره أيضًا، والجمهور على أن كفره كفر أصغر لا يخرجه من الملة، ولا شك أن معصية سماها رسول الله ﷺ كفرًا هي أعظم من الكبائر التي لم نسميها كفرًا. وعليه أن يتقي الله، وأن يبادر بالتوبة قبل أن تفوته ويواظب على الصلاة في أوقاتها، وعلى السائل أن يعلم أن هناك فرقًا بين الحكم العام وبين تنزيله على الشخص المعيّن، حتى لا يقع في تكفير من ليس بكافر.

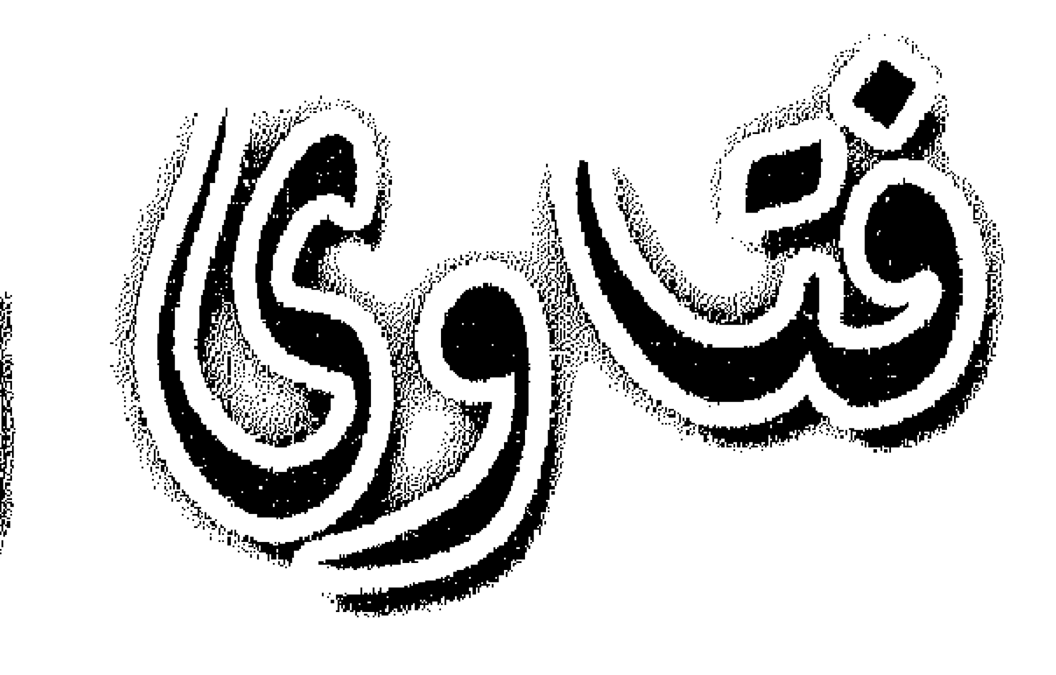
تأثير السحر

يسأل سائل: هل السحر يضر الإنسان فعلاً؟

الجواب: السحر حقيقة، وهو سبب من أسباب الضرر إذا قدّر الله ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لكن عمل السحر حرام، وهو كفر بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر». الحديث [متفق عليه].

وقال ﷺ: «ليس منا من تطير ولا من تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو تسحّر أو تسحّر له». [صحيح الجامع ٥٣١١].

ومن أصابته الأعراض فظن أنه سحر فعليه بالرقية الشرعية، وهي: قراءة الفاتحة، والإخلاص، والمعوذتين، وما يحفظ من الأحاديث الصحيحة في الرقية، يذهب الله عنه البأس بفضله وكرمه، ولا يجوز له إتيان السحرة لحلّ السحر. والله أعلم.



فتاوى
أجاب عنها فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

حكم إنكار صفة من صفات الله

سئل: ما حكم إنكار شيء من أسماء الله تعالى أو صفاته؟

أجاب: الإنكار نوعان:

النوع الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدًا أنكر اسمًا من أسماء الله، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول: ليس لله يد، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة.

النوع الثاني: إنكار تأويل، وهو أن لا يجحدها، ولكن يؤلها وهذا نوعان:

الأول: أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية فهذا موجب للكفر، لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار تكذيبًا، مثل أن يقول: ليس لله يد حقيقة، ولا بمعنى النعمة، أو القوة، فهذا كافر، لأنه نفاها نفيًا مطلقًا فهو مكذب حقيقة، ولو قال في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، المراد بيده السماوات والأرض فهو كافر؛ لأنه لا يصح في اللغة العربية، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية فهو منكر مكذب.

لكن إن قال: المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر؛ لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة، قال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ

تحدث أن المانوية تكذب

من «يد» أي: من نعمة، لأن المانوية يقولون: إن الظلمة لا تحدث الخير وإنما تحدث الشر.

الحبيب والخليل

سئل: ما حكم وصف النبي ﷺ بحبيب الله؟

أجاب: النبي ﷺ حبيب الله لا شك، فهو حاب لله ومحبوب لله، ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو خليل الله، فالرسول عليه الصلاة والسلام خليل الله كما قال ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً». ولهذا من وصفه بالمحبة فقط فإنه نزله من مرتبته، فالخلة أعظم من المحبة وأعلى، فكل المؤمنين أحباء لله، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام في مقام أعلى من ذلك وهي الخلة، فقد اتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، لذلك نقول: إن محمدًا رسول الله ﷺ، خليل الله، وهذا أعلى من قولنا حبيب الله؛ لأنه متضمن للمحبة، وزيادة لأنه غاية المحبة.

عذاب القبر

سئل: هل عذاب القبر ثابت؟

أجاب: عذاب القبر ثابت بصريح السنة وظاهر القرآن وإجماع المسلمين، هذه ثلاثة أدلة.

أما صريح السنة فقد قال النبي ﷺ: «تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من عذاب القبر».

وأما إجماع المسلمين، فلأن جميع المسلمين يقولون في صلاتهم: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر» حتى العامة الذين ليسوا من أهل الإجماع ولا من العلماء.

وأما ظاهر القرآن فمثل قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ولا شك أن عرضهم على النار ليس من أجل أن يتفرجوا عليها، بل من أجل أن يصيبهم من عذابها، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ

فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ الله أكبر، إنهم لشحيحون بأنفسهم ما يريدون أن تخرج: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] .فقال: «اليوم» و«ال» هنا للعهد الحضوري اليوم يعني اليوم الحاضر الذي هو يوم وفاتهم ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

إذن فعذاب القبر ثابت بصريح السنة، وظاهر القرآن وإجماع المسلمين، وهذا الظاهر من القرآن يكاد يكون كالصريح؛ لأن الآيتين اللتين ذكرناهما كالصريح في ذلك.

تأثير الدعاء في المكتوب

سئل: هل للدعاء تأثير في تغيير ما كتب للإنسان قبل خلقه؟

أجاب: لا شك أن للدعاء تأثيرًا في تغيير ما كتب، لكن هذا التغيير قد كتب أيضًا بسبب الدعاء، فلا تظن أنك إذا دعوت الله فإنك تدعو بشيء غير مكتوب، بل الدعاء مكتوب وما يحصل به مكتوب، ولهذا نجد القارئ يقرأ على المريض فيشفى، وقصة السرية التي بعثها النبي ﷺ، فنزلوا ضيوفًا على قوم ولكنهم لم يضيفوهم، وقدر أن لدغت حية سيدهم فطلبوا من يقرأ عليه، فاشترط الصحابة أجرة على ذلك، فأعطوه قطيعًا من الغنم، فذهب أحدهم فقرأ عليه الفاتحة، فقام اللديغ كأنما نشط من عقال، أي كأنه بعير فك عقاله، فقد أثرت القراءة في شفاء المريض.

فللدعاء تأثير، لكنه ليس تغييرًا للقدر، بل هو مكتوب بسببه، وكل شيء عند الله بقدر، وكذلك جميع الأسباب لها تأثير في مسبباتها بإذن الله، فالأسباب مكتوبة والمسببات مكتوبة.

البناء على القبور

سئل: ما حكم البناء على القبور؟

أجاب: البناء على القبور مُحرَّم، وقد نهى عنه النبي ﷺ، لما فيه من تعظيم أهل القبور، وكونه وسيلة وذريعة إلى أن تعبد هذه القبور وتتخذ آلهة مع الله، كما هو الشأن في كثير من الأبنية التي بنيت على القبور، فأصبح الناس يشركون أصحاب هذه القبور، ويدعونها مع الله تعالى، ودعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم لكشف الكربات شرك أكبر وردة عن الإسلام. والله المستعان.

الزكاة في مال الأيتام

سئل: فضيلة الشيخ، من كان عنده دراهم لأيتام فهل فيها زكاة؟

أجاب: أما الدراهم التي للأيتام فتجب فيها الزكاة فيخرجها الولي عنهم؛ لأن الصحيح من أقوال أهل العلم أن الزكاة لا يشترط فيها بلوغ ولا عقل؛ لأن الزكاة واجبة في المال.

دفع الزكاة للأقارب

سئل: ما حكم دفع الزكاة للأقارب؟

أجاب: القاعدة في ذلك أن كل قريب تجب نفقته على المزكي فإنه لا يجوز أن يدفع إليه من الزكاة ما يكون سببًا لرفع النفقة عنه، أما إذا كان القريب لا تجب نفقته كالأخ إذا كان له أبناء، فإن الأخ إذا كان له أبناء فلا يجب على أخيه نفقته نظرًا لعدم التوارث لوجود الأبناء، وفي هذه الحال يجوز دفع الزكاة إلى الأخ إذا كان من أهل الزكاة، كذلك لو كان للإنسان أقارب لا يحتاجون الزكاة في النفقة لكن عليهم ديون فيجوز قضاء ديونهم ولو كان القريب أبًا، أو ابنًا، أو بنتًا، أو أمًا ما دام هذا الدين الذي وجب عليهم ليس سببه التقصير في النفقة.

مثال ذلك: رجل حصل لابنه حادث وألزم بغرامة السيارة التي أصابها، وليس عنده مال فيجوز للأب أن يدفع الغرم الذي على الابن من زكاته- أي من زكاة الأب- لأن هذا الغرم ليس سببه النفقة، بل إنما وجب لأمر لا يتعلق بالإنفاق، وهكذا كل من دفع زكاة إلى قريب لا يجب عليه أن يدفعه بدون سبب الزكاة فإن ذلك جائز من الزكاة.

القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد

الحلقة السادسة

إعداد عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإننا نستكمل مع القارئ الكريم الأدلة من كلام سلفنا الصالح في تقرير تقسيم التوحيد إلى أقسامه الثلاثة؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

ذكر الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده المتوفى سنة ٣٩٥هـ في كتابه «كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد» أقسام التوحيد، واستعرض كثيرًا من أدلتها في الكتاب والسنة بشرح وبسط لا مزيد عليه.

فمن الأبواب التي عقدها وهي متعلقة بتوحيد الربوبية ما يلي:

١- ذِكرُ ما وصف الله عز وجل به نفسه ودلَّ على وحدانيته عز وجل وأنه أحدٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

٢- ذِكرُ معرفة بدء الخلق.

٣- ذكر ما يدل على أنَّ خلق العرش تقدَّم على خلق الأشياء.

٤- ذِكرُ ما يدل على أنَّ الله قدَّر مقادير كل شيء قبل خلق الخلْق.

٥- ذِكرُ ما يَستدل به أولو الألباب من الآيات الواضحة التي جعلها الله عز وجل دليلاً لعباده من خلقه على معرفته ووحدانيته من انتظام صنعته وبدائع حكمته في خلق السماوات والأرض.

٦- ذكرُ ما بدأ الله عز وجل به من الآيات الواضحة الدالة على وحدانيته.

٧- ذِكرُ الآيات المتفقة المنتظمة الدالة على توحيد الله عز وجل في صفة خلق السماوات التي ذكرها في كتابه وبيَّنها على لسان رسوله ﷺ تنبيهًا لخلقه.

ثم ذكر أبوابًا أخرى.

ومن الأبواب التي عقدها وهي متعلقة بتوحيد الألوهية ما يلي:

١- ذِكرُ معرفة أسماء الله عز وجل الحسنة التي تسمَّى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر.

٢- ذكرُ معرفة اسم الله الأكبر الذي تسمَّى به وشرَّفه على الأذكار كلِّها.

وذكر تحت هذا الباب، ما يلي:

أ- قول النبي ﷺ : «أُمِرتُ أن أدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله».

ب- قول النبي ﷺ: «بُني الإسلام على شهادة أن لا إله إلا الله».

ج- قول النبي ﷺ: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت».

د- قول النبي ﷺ لرجل: «قل ربي الله، ثم استقم».

هـ- قول النبي ﷺ لرجل: «الله يمنعني منك».

و- قول النبي ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله عز وجل، ومن حلف بغير الله فقد أشرك».

ز- قول النبي ﷺ : «اذكروا الله على جميع الأمور، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الجمعة: ١٠] ».

وذكر أمورًا أخرى كثيرة متعلقة بتوحيد الألوهية.

ومن الأبواب التي عقدها وهي متعلقة بتوحيد الأسماء والصفات ما يلي:

-ذكرُ معرفة صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه، وأنزل بها كتابه، وأخبر بها الرسول ﷺ على سبيل الوصف لربه عز وجل مبينًا ذلك لأمته.

وذكر أبوابًا أخرى كثيرة في توحيد الأسماء والصفات، وكان قبل هذا ذكر جملة كبيرة من أسماء الله الحسنى.

قال شيخنا الدكتور علي بن ناصر فقيهي في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن منده المتقدم: «ومؤلف هذا الكتاب عاش في القرن الرابع الهجري (٣١٠-٣٩٥هـ)، وقد اشتمل كتابه على أقسام التوحيد التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات، فبدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلاً به على توحيد الله في الألوهية، ثم ذكر عنوانًا لتوحيد الأسماء، ومنه دخل في توحيد الألوهية، وذلك من الفصل الثاني والأربعين إلى الفصل الخمسين، ثم عاد لتكميل أسماء الله تعالى، ثم أتبعه بتوحيد الصفات حيث بحثه مستقلاً عن أسماء الله عز وجل، ثم عاد إلى توحيد الربوبية بالتصريح بذلك في آخر الكتاب، ولم يخرج في استدلاله على ذلك عن كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ وأقوال السلف كما يجد ذلك القارئ في الكتاب».

٩- قال أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفي سنة ٥٢٠هـ في مقدمة كتابه سراج الملوك: «وأشهد له بالربوبية والوحدانية، وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الأوفى». فذكر الأقسام الثلاثة.

وللحديث بقية بإذن الله تعالى.



وقفات على طريق طالب العلم

ذكرنا في الحلقتين السابقتين بعض وقفات على طريق طلب العلم، وقلنا أن العلم قربة من أجلّ القربات إلى الله، وأن العلم الشرعي هو الجدير بمصطلح العلم عند الإطلاق، وأن طالب العلم طريقه المنهجية في الطلب ويختلف عن المثقف لأن طريقته أن يقرأ ما يروق له، ثم ذكرنا في الوقفة الرابعة أن العلم يحتاج في طلبه إلى التلقي عن أهل العلم، ولذا ذكرنا أن الفائدة من حضور دروس العلم ليس مجرد الاستكثار من المعلوم فحسب.

ونكمل في هذه الحلقة إن شاء الله تعالى بعض الوقفات على طريق طلب العلم.

•• الحلقة الثالثة ••

بقلم **فهد اليحيى**

الوقفة الخامسة: كيفية التلقي في الدرس

احتوت الوقفة على عدة مسائل مهمة، أرى كل واحدة تحتاج لأن تكون وقفة ..

حين يحضر طالب العلم في الدرس فإنه ينبغي أن يكون حرصه على إتقان هذا الفن المراد تدريسه أو المتن المراد شرحه والطريقة التي يُشرح بها وجمع الأدلة وكيفية الاستدلال وكيفية منهج دراسة المسألة والنظر بين الأقوى في الأدلة والأرجح من الأقوال وكيفية تصحيح الأحاديث أو تضعيفها وإعلالها .... هذه الطريقة هي التي ينبغي لطالب العلم أن ينتبه لها أكثر لا أن يكون الهم هو أن يجمع المعلومات فحسب، نعم جمع هذه المعلومات حسن وتقييدها مهم ولكن أيضا إتقان الطريقة وكيفية الاستفادة من هذا الدرس أو من هذا الشيخ هي من الأهمية بمكان كما ذكرت.

اشتمل التساؤل في نهاية الوقفة السابقة على شطرين يكمل بعضهما الآخر .... سر التلقي، وكيفية التلقي، وللإجابة على الشطر الأول أقول :

يتميز تلقي العلم عن أهله في دروسهم عن مطالعة الكتب بأمور منها : ما أشار إليها الشاطبي فيما سبق من الخاصية التي جعلها الله تعالى بين المعلم والمتعلم ولها ما يكون في الدرس من الالتزام .

إن على طالب العلم أن يتعلّم مع من يتلقى منه العلم لا أن يقتصر على الأخذ عنه فقط، وليعلم أنه لن ينال مناه من علم ما بحضور الدرس فحسب حتى يكون له مع ذلك جهدٌ بنفسه بمراجعة الكتب والبحث في بعض المسائل الواردة في ذلك الدرس ، إن العلم الذي يتم استحضاره لا يتم بجمع المعلومات وحشوها في الذهن ، فالقراءة الرتيبة لكتاب ما مثلاً لا يمكن أن تخرج بها مستحضراً لما فيه من علم بل وأكثر من ذلك لو أنك حفظت هذا الكتاب عن ظهر قلب فقد لا تستطيع استحضار كثير مما فيه .... لماذا ؟! إليك هذا المثال لعله يقرب المراد :

إذاً ليست القضية في الحفظ والقراءة بقدر ما هي في طريقة ذلك الحفظ وتلك القراءة ، وفي تنوع الحوافز للذهن لعلوق المعلومة فيه ، ولذلك نجد النبي ﷺ لا يعتمد على الإلقاء المجرد بل ينوّع الطريق في تلقين العلم ، فتراه تارة يستخدم أسلوب الاستفهام فيقول مثلا : «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم عنده ولا متاع، قال: «ولكن المفلس من جاء يوم القيامة بكذا وكذا»، فأثارهم بالسؤال. وتارةً يستفهم ويكرر ولا ينتظر جواباً كقوله : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثم قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وربما ترك لهم الفرصة للبحث والتداول، كما في حديث «أخبروني بشجرة كالرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتي أكلها كل حين» فوقع الناس في شجر البوادي ... وربما كان على نحو آخر كحديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فأثارهم بهذا النقل فخاض الصحابة في هؤلاء ثم جاء فأخبرهم .

وتارة يربط التعليم بنوع من الفعل للتصوير أو الإثارة، فمن الأول حينما خط خطاً مستقيماً وخط

عن يمينه وشماله خطوطاً لتوضيح الصراط المستقيم وبيان سبل الشيطان .

ومن الثاني حينما صعد المنبر وقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسألوه فأخبرهم ... ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة.

أو يمشي مع صحابته ويقول سيروا هذا جمدان (جبل منفرد) ثم قال سبق المفردون : قالوا : وما المفردون يا رسول الله : قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات فأثارهم بكونهم ينظرون إلى هذا الجبل العظيم المنفرد ثم ربطهم بهذا الانفراد فقال سبق المفرِّدون والشاهد من كل ذلك أن العلم يثبت بالإثارة وتعلق مسائله بأنواع من الحوافز التي ينبغي العناية بها، إذا أشكل عليك شئ من مسائل العلم في الفقه أو في الحديث أو غيرها فلتسارع بمراجعته في مظانه فإن هذا من أقوى حوافز ثبوت العلم .

ومن هنا كان للتلقي شأنه في تحصيل العلم لما يشتمل عليه من حفز للذهن على تلقف المعلومة ومن أسرار كون التلقي للدروس هو الطريق الأمثل لطلب العلم، أن فيها إلزاماً ......

ومنها تنمية، ومنها إثارة همة، ومنها التربي على يد الشيخ في سمته وأخلاقه وعبادته.

فالدرس ليس المقصود منه حشو المعلومات في ذهن المستمع، بل المقصود منه أكبر من ذلك بكثير.

من مقاصد التلقي :

أولاً : إلزام النفس بهذا الدرس وإتمام هذا المتن.

ثانياً : إثارة الذهن وحفزه على البحث والمراجعة مما يرسخ فيه العلم بخلاف ما لو قرأ وحده فلربما لا يتحقق له ذلك ، ولأهمية هذا الأمر - «ميزات التلقي ومقاصده» - أزيده بياناً فأقول : طالب العلم يتربى على يد شيخه ويُجله ويقدره ويأخذ عنه العلم بنفس مقبلة راغبة ، ولا يتشاغل عنه في الدرس ، ولا يقاطعه بكلام ، ولا يُشعره بسبق علمه لشيء مما يلقيه ، فقد عُلم أنه ما من علم يُلقى إلا ويكون منه ما ليس بجديد على سامعه .

وإذا سأله سأله بأدب وخفض جناح، سؤال تعلم لا سؤال تعنت واختبار، وإذا ناقشه أو حاوره فبمثل ذلك .

لكنه مع كل هذا يحتفظ لنفسه بشخصيتها ولا بأس أن يخالف شيخه في الرأي والترجيح، لكنه ليس من الأدب أن يستعلن بذلك وأن يفرح أنه ظفر بشيء لعله غاب عن شيخه، فيذهب يتطاول عليه، أو يُسر به إلى زملائه كالمنقص للشيخ من حيث لا يشعر .

ثالثاً : ما يستفيده في الدرس من علم وطريقة وسمت ،فأما العلم فلا بد فيه من مراعاة قصد الإثارة، بمعنى ألا يقتصر على الأخذ من الشيخ فحسب بل عليه أن يشارك بجهده.

رابعاً: تنمية الثقة بالنفس بما تحمل من علم، وتحفظ من محفوظات، ولا سيما في الحفظ فإنه قلّ أن يتقن أحد حفظاً لقرآن أو حديث أو غيرهما إلا بقراءته على أحد ، أما الحفظ دون ذلك فإما أن ينقطع لأنه لا يشعر بالالتزام تجاه أحد ، وإن أتمه فقد لا يتمه في نفس الزمن الذي يتمه لو حفظه على غيره ، وقد يقع في أخطاء فيما حفظه ، وما أصعب تصحيح الخطأ فيما حُفظ على خطأ.

وإن سلم من كل ذلك فليس من يحفظ على نفسه في ثقته بنفسه وقوته في حفظه كمن حفظ على غيره.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

تشكيل لجنة العمرة بالمركز العام

تم بحمد الله تعالى تشكيل لجنة العمرة بالمركز العام للجماعة والمكونة من كلا من:

١ - أبو العطا عبد القادر ٢ - أسامة سليمان ٣ - محمد عبد الخالق

٤ - محمد شهبة ٥ - أحمد يوسف

وقد قررت اللجنة في أول اجتماع لها الموافقة على تنظيم رحلة العمرة الأولى لها في شهر رجب ورمضان ١٤٢٥هـ.

والله الموفق

إشهار

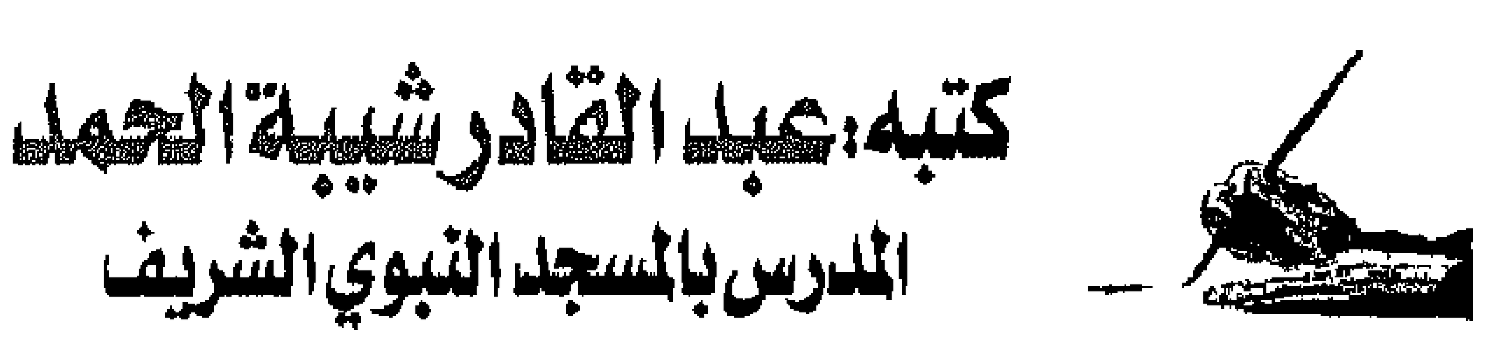
بعد الاطلاع على القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م بشأن الجمعيات والمؤسسات العامة وعلى قرار وزيرة الشئون الاجتماعية رقم ١٧٨ لسنة ٢٠٠٢م باللائحة التنفيذية للقانون وعلى مذكرة سجل المديرية:
تم إشهار فرع بني عامر- مركز الزقازيق شرق.



التحذير من الفتن

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على محمد خاتم النبيين... وبعد:

فإن مما يؤلم النفس ويحزن القلب أن يتفرق شمل المسلمين، وأن يصيروا شيعًا وأحزابًا، وأن يكون هم كل حزب أن يفرح بما هو عليه ويصف من سواه بالضلال والانحراف، وقد يحكم عليه بالكفر والخروج عن ملة الإسلام ناسيًا أو متناسيًا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران].



كتبه: عبد القادر شيبة الحمد

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

كما وقف رسول الله ﷺ يوم النحر خطيبًا محذرًا من التعدي على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه في خطبة رسول الله ﷺ يوم النحر قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض». وقد علم من قواعد الإسلام وتعاليمه المكونة للمجتمع المثالي المتماسك المترابط المتحاب المتواد الذي يشبه البنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضًا بأن هناك ثلاثة أمور لا سعادة للفرد أو للمجتمع إلا بها وهي:

طاعة الله تبارك وتعالى.

وطاعة رسوله محمد ﷺ.

وطاعة ولي أمر المسلمين.

وقد ساق الله تبارك وتعالى آيتين مقترنتين في هذا الأمر حيث قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٨-٥٩].

فهاتان الآيتان الكريمتان تنتظم بهما السياسة الشرعية الرشيدة التي تسعد البلاد والعباد ويتمتع الناس في ظلها بالامن والاستقرار.

أما الأمر الأول من هذه الأمور الثلاثة فهو توحيد الله عز وجل وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وطاعته في السر والعلن والسراء والضراء والشهادة بأنه لا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد التي هي مفتاح الجنة وهي الحقيقة الكبرى التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض وبث فيهما من دابة ومن أجلها خلق الجن والإنس وأقام سوق الجنة والنار، حيث يقول: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ولا شك أن جميع الأمم يكادون يطبقون على الإقرار بخالق السماوات والأرض على مر العصور واختلاف

التي تقع في آخر الزمان

الأجناس وتباين الألسنة واللغات.

فهم متعرفون بالخالق العظيم، وقد ورثوا ذلك من عهد آدم وتتابعت اعترافاتهم به إلى أمة محمد ﷺ، ولذلك كثر في القرآن العظيم توجيه الأسئلة للمشركين بأنهم ما داموا مقرين بأن الله هو وحده خالق السماوات والأرض وما فيهما فلماذا يشركون به ويعبدون غيره؟ حيث يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩].

وقد أقام الله عز وجل في كل شيء من الأنفس والآفاق آيات شاهدات وبراهين قاطعات الدلالة على ربوبيته وألوهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ولله در أبي نواس حيث يقول:

تأمل في نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات
وأزهار كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

وما أحسن قول ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يعصى الإلـ
ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

أما الأمر الثاني فهو طاعة رسول الله ﷺ بتصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر.

وقد أيده الله عز وجل بالمعجزات التي يؤمن على مثلها البشر، وقد خصه بالقرآن العظيم الذي هو حجة الله البالغة وهو الآية الكبرى والمعجزة العظمى الباقية التي لا تنسخ حتى ينسخ الليل والنهار والسماوات والأرض.

وقد بعثه الله عز وجل بالشريعة الكاملة التامة الشاملة المشتملة على أسباب سعادة الخلق في دنياهم وأخراهم ومعاشهم ومعادهم ولا يقبل الله من أحد عملاً إلا إذا كان خالصًا لله موافقًا لشريعة محمد ﷺ.

أما الأمر الثالث فهو طاعة من ولاه الله أمر المسلمين في السر والعلن والمكره والمنشط وألا تنزع يد من طاعة.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالته المعروفة باسم السياسية الشرعية وجعل مبناها على هاتين الآيتين الكريمتين، حيث قال في صدرها: «هذه رسالة مختصرة فيها جوامع من السياسة الإلهية والآيات النبوية لا يستغني عنها الراعي والرعية اقتضاها من أوجب الله نصحه من ولاة الأمور، كما قال النبي ﷺ فيما ثبت عنه من غير وجه في صحيح مسلم وغيره: إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، وهذه الرسالة مبنية على آيتين في كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾». اهـ.

وقد حض رسول الله ﷺ على طاعة ولي الأمر وحذر أشد التحذير من معصيته ما دام لم يأمر بمعصية الله عز وجل، واعتبر رسول الله ﷺ طاعة ولي الأمر من طاعة رسول الله ﷺ ومعصيته من معصية رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

وبهذا يتأكد وجوب طاعة الأمير ما دام لم يأمرك بمعصية الله، فإن أمرك بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق تبارك وتعالى.

ولذلك روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

كما روى البخاري ومسلم من طريق جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ ، قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان.

كما روى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة».

كما روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك».

كما روى مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا مجدع الأطراف».

وفي لفظ: «وإن كان عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف».

كما روى مسلم في صحيحه من حديث أم الحصين رضي الله عنه أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا».

وقد أوجب الإسلام طاعة ولي الأمر حتى لو ضرب ظهرك أو أخذ مالك بغير حق، وأن من خرج على ولي الأمر فمات على ذلك فميتته جاهلية، فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية».

وفي رواية للبخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية».

وقد لوحظ في هذه الأيام وجود دعاة عليهم سيما التدين إلا أنهم يتعصبون إلى فرق متفرقة وأحزاب متباينة لا يتورعون عن وصف مخالفيهم بالخروج من الدين ويكفرون ما لم يكفره الله ولا رسوله ﷺ .

وقد رسم رسول الله ﷺ المنهج الحق لما يجب أن يكون عليه المسلم عند تفرق الكلمة وتشتت الرأي، فأوجب على المسلم أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وأن يدع الفرق كلها إلا التي فيها الإمام وذلك فيما حدث به حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما صاحب سر رسول الله ﷺ ، فقد روى البخاري ومسلم من طريق أبي إدريس الخولاني قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وفي لفظ لمسلم من طريق أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم. قلت: هل وراء ذلك الشر من خير؟ قال: نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم. قلت كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.

قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

وبهذا يتضح بما لا مجال للشك فيه أن الفرقة الناجية هي من كانت مع جماعة المسلمين وإمامهم.

فالزم أيها المسلم المنهج المستقيم واحذر أشد الحذر من اتباع الهوى ودعاة الجحيم.

والدين النصيحة، والحمد لله رب العالمين.

الاحتفال بالمولد في ميزان الشريعة

بقلم/ حسين الدسوقي

هناك مناسبات ومواسم تحتل في نفوس الكثير من المسلمين مكانة التعظيم، رغم أنها إما أعياد لأهل الكفر وشعائر لهم تُعَبِّر عن عقائد باطلة، وإما بدع مستحدثة في دين الله تعالى، فإن جئت لتنكر اتخاذ ذلك الموسم عيدًا يُحتفل به رُميت أنت بالنكارة والشذوذ، ذلك لأنها صارت عادات مألوفة شاب عليها الصغير وهرم عليها الكبير، فهل اتخاذ تلك المواسم أعيادًا يُحتفل بها على سبيل العادات يخرجها من دائرة المنكر إلى دائرة المعروف؟

يقول ابن تيمية رحمه الله: «والأعياد من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر...» [اقتضاء الصراط المستقيم ص١٨٦].

فعُلم من هذا أن الأعياد من أظهر شعائر الشريعة، فهي أقرب إلى باب الطاعات منها إلى باب العادات؛ لأن الشعيرة هي العلامة، وهي مأخوذة من الإشعار الذي هو الإعلام. [لسان العرب].

وإذا أُضيفت الشعائر إلى الله تعالى فهي «أعلام دينه التي شرعها، فكل شيء كان علمًا من أعلام طاعته فهو من شعائر الله» [التعريفات للجرجاني].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾.

والعيد يجري عليه ما يجري على شعائر الدين من أحكام، الأصل فيها الحرمة حتى يرد دليل بالمشروعية، فإن ثبتت مشروعية الشعيرة وجب على المسلمين إقامتها وإظهارها، فرضًا كانت الشعيرة أو نفلاً، وترك شعائر الله يدل على التهاون في طاعة الله واتباع أوامره عز وجل، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، وتعظيمها أداؤها على الوجه المطلوب شرعًا.

وإنك لتأسف على من يضيعون شعائر من الدين مشروعة كصلاة العيدين، وسنن العيد الظاهرة كسنة الأضحية مثلاً، بينما يحتفلون بمناسبات دينية أو وطنية وليست من دين الله في شيء، بل هي من باب الابتداع في دين الله رب العالمين، ذلكم باب الشر الأول بعد الشرك بالله تعالى؛ لأنه يعني أول ما يعني منازعة الله رب العالمين في سلطان التشريع؛ إذ يتخذ المبتدع لنفسه ما لم يشرعه له ربه ومولاه، غير أن وقوعه في الابتداع الذي هو شهادة زور وعدوان؛ أن محمدًا ﷺ قد خان الرسالة، إذ قد بلغها لنا ﷺ ولم يكن بها هذا الأمر المستحدث الجديد من الاحتفال بعيد غير العيدين؛ الفطر والأضحى، أو لربما يرى صاحب البدعة هذه أو المستمسك بها أنه على ملة أهدى من ملة النبي ﷺ؟

ورضي الله عن ابن مسعود إذ قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم، وكل بدعة ضلالة». ومع قدوم شهر ربيع الأول تطل علينا برأسها بدعة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وهي أولى تلك البدع بالاحتفال عند عامة المسلمين- وللأسف- فتجد كثيرًا من الصوفية يهرولون إلى إقامة هذا العيد بذلكم الاحتفال البدعي ووراءهم عوام المسلمين يتبعونهم دون وعي ويهتدون بهم إلى غير هدي ولسان حالهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وربما يظن ظانٌّ أن الكلام المتقدم لا يدخل تحته الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، لكونه ليس عيدًا، ولكن لو رحنا نبحث عن معنى العيد في لغة العرب والتي نزل بها القرآن الكريم لوجدنا في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ ما ينطق علينا بالحق.

قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، وقال ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدًا». [أبو داود ٢٠٤٢].

فالعيد في لغة العرب: كل يوم فيه جمع. [لسان العرب].

وقال ابن تيمية رحمه الله: العيد اسم جنس

يدخل فيه كل يوم أو مكان فيه اجتماع. [اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٠١].

إذن فكل ما يتكرر مجيؤه في زمان معين من كل سنة مثلاً فهو عيد. وحيث ذكرنا أن الأعياد شعيرة من شعائر الإسلام وقلنا: إن الأصل فيها الاتباع، فإن هذا يعني وجوب تحري النص الشرعي الصحيح المعمول به في إثبات اختصاص هذا اليوم بالاحتفال، فأين هو الدليل على إقرار تلك البدعة وفعلها، ورسول الله ﷺ لم يحتفل بمولده ولم يشرعه بقول أو فعل أو تقرير؟

بل إنه ﷺ لما قدم المدينة ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما، قال ﷺ: «ما هذان اليومان؟» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال ﷺ: «إن الله قد أبدلكما بهما خيرًا منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر». [أبو داود ١١٣٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن اليومين الجاهليين لم يقرهما رسول الله ﷺ ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: «إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما»، والإبدال من الشيء يقتضي ترك المُبدل منه».

فإن ادعى أحد أن صيام النبي ﷺ ليوم الاثنين هو احتفال بمولده ﷺ فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم الاثنين؟ فقال: «فيه وُلِدْتُ، وفيه أُنزل عليّ». [مسلم ١١٦٢].

فإننا لا ننكر مشروعية صوم الاثنين من كل أسبوع، ولكننا ننكر ذلك القياس الفاسد الذي يُقاس فيه ما هو مشروع (من صيام يوم الاثنين من كل أسبوع) على ما لم يشرع من الاحتفال بمولده ﷺ كل سنة.

وإذا كان أصحاب النبي ﷺ وهم أشد الناس حبًا لرسول الله ﷺ وأكثر الناس علمًا وورعًا وإيمانًا لم يحتفلوا بمولده، فلماذا لا نتبعهم ونهتدي بهديهم؟

قال ابن عبد البر: «كان الحسن البصري في مجلس، فذكر أصحاب محمد ﷺ فقال: إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم. [جامع بيان العلم ٩٧/٢]. وإن كان قُرب عهدهم بالنبي ﷺ لم يُحوجهم إلى الاحتفال بمولده ﷺ. فإن بُعد الزمان بيننا وبين رسول الله ﷺ لا يُبَرِّر الإحداث في دين الله تعالى ما ليس منه، لأن من أصول هذا الدين قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [متفق عليه]

ومنذ متى نسي المسلمون نبيهم ﷺ حتى يتذكروه في العام مرة واحدة؟

أم أنه قد خُشي على رسول الله ﷺ النسيان من أمة ما عرفت الحق ولا تعلمت الهدى ولا أُوتيت الخير إلا على يده ﷺ؟

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

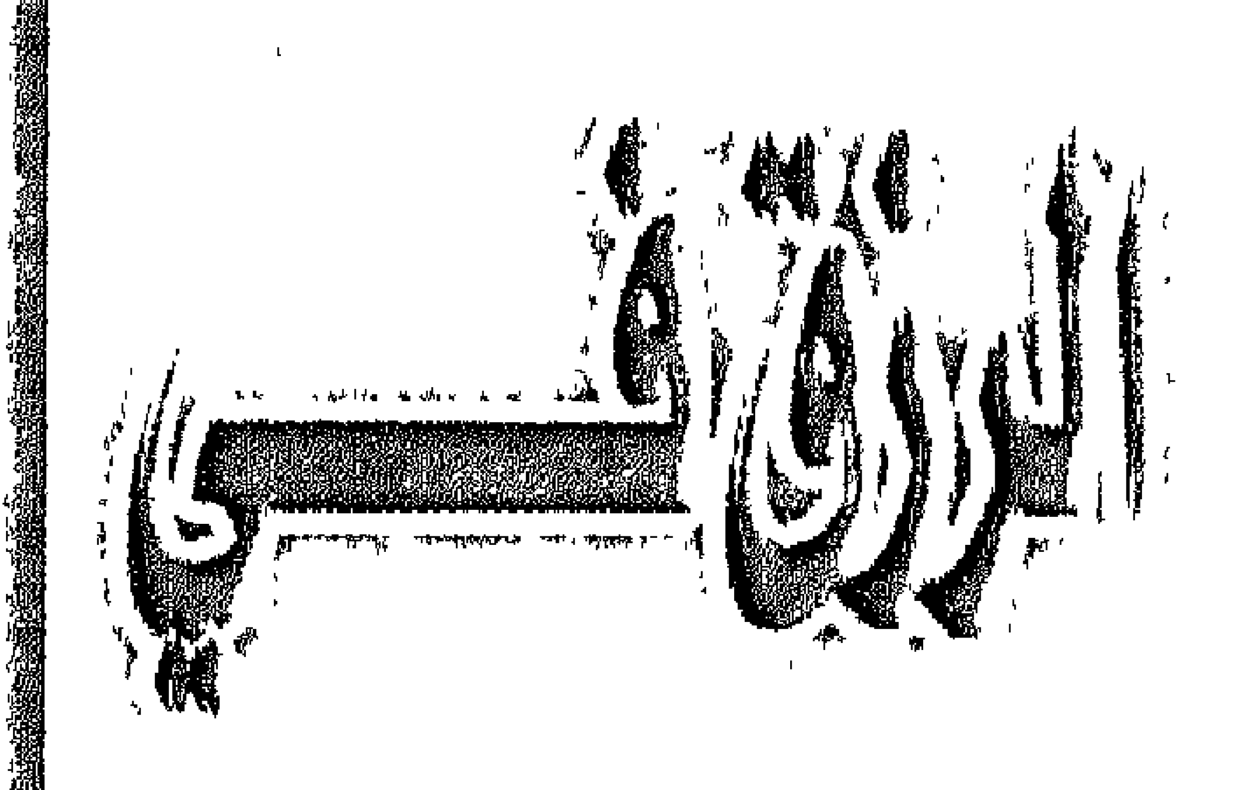
إن من تُقام له الذكرى هو من لا يُذكر ويُخشى عليه أتباعه من طي النسيان، وإذا كان مولده نعمة، فما هكذا تُقابل نعم الله عليه باحتفالات وتجمعات على أذكار مبتكرة أو صلوات عليه مخترعة وكيفيات منكرة، ولا حتى بشراء الحلوى والعرائس، وإنما تُقابل نعم الله بالشكر الذي هو حمد وعمل بمقتضى النعمة على مُراد المنعم عز وجل، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ:١٣].

ولو رُحنا نُقلِّب في كلام الله عز وجل ما وجدنا في القرآن الكريم ما يشير إلى مولد النبي ﷺ، وإنما نجد ما يشير إلى بعثته ﷺ على أنها نعمة ومنة عظيمة من الله تعالى علينا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]

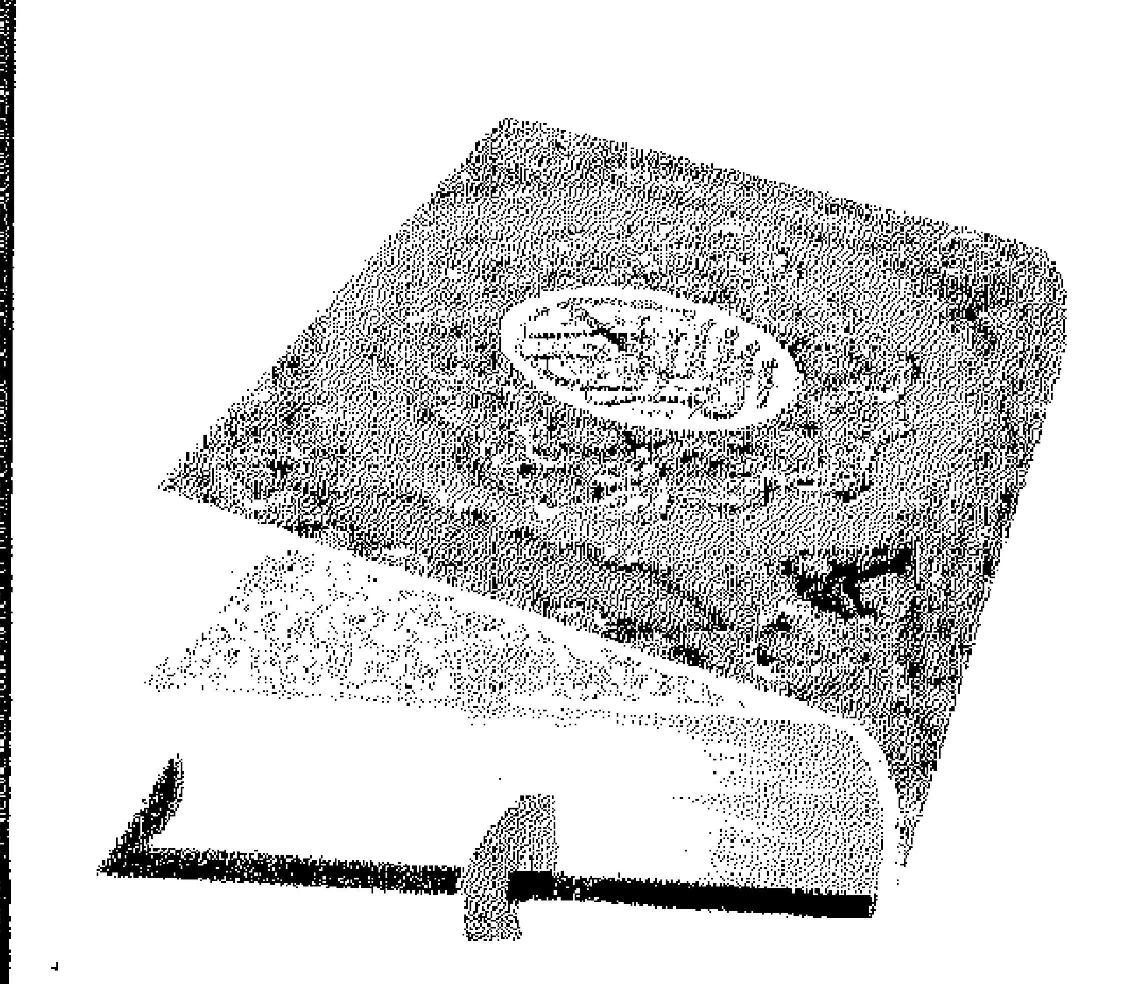
وهذا شأن جميع المرسلين قد امتن الله عز وجل على الناس ببعثتهم لا بمولدهم، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]

والسؤال: هل كانت حياته ﷺ بما فيها من تضحية حتى وصلت إلينا نعمة الدين من أجل أن نقيم له حفل تكريم تُوزع فيه الحلوى ويستمع فيه لمديحه ﷺ في ذكرى مولده كل عام، ثم تُهجر سنته التي وصانا بها: «عليكم بسنتي...» ويُتأسى بغيره ويُهتدى بغير هديه، وهو الذي بلغنا عن ربه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾؟! [الأحزاب:٢١]

نسأل الله تعالى أن يرشدنا إلى الحق، ويوفقنا للعمل به واتباعه، وأن يُجنبنا الهوى والزلل.







بقلم

المستشار/أحمد السيد علي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

وردت كلمة الرزق ومشتقاتها في القرآن الكريم في أكثر من آية، وبتتبع هذه الآيات وجمعها وُجد ما يلي:

١- معنى الرزق وشموليته: الرزق اسم عام لكل ما ينتفع به العباد من أرزاق تحتاج إليها الأبدان في نموها وحفظها، ومن أرزاق معنوية وهي تعبر عما ينزله سبحانه من الشرائع والكتب على رسله من البشر لهداية الخلق وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم وتكميل فطرهم بالعلوم النافعة والمعارف الصحيحة، وما ينزله كذلك على قلوب أوليائه من السكينة، وما يفتح عليهم من أبواب المعرفة به سبحانه وبأنواع الحقائق التي تزيل عنهم غشاوة الجهل وتبدد عنهم غياهب الخرافة والوهم.

٢- انفراد الله عز وجل بالرزق: انفرد الله عز وجل بالرزق فلا رازق إلا الله، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

٣- شبهة والرد عليها: قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].

قد يسأل سائل كيف نجمع بين ما قررنا من انفراد الله بالرزق وبين إثبات الرزق لغير الله كما في الآيات السابقة فالجواب أن يقال أن رزق الله سبحانه وتعالى كلي فهو خالق الأرزاق وموصلها إليهم، وخالق أسباب التمتع بها، أما غيره سبحانه فيسمى رازقًا لإيصاله الرزق إلى الآخرين، فكل رزق يجري على يد بعض العباد لبعضهم فهو منه سبحانه، لا رازق سواه ولا معطي غيره، وفي الحديث: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض». [رواه مسلم].

ويؤيد هذا أن الرزق في اللغة يأتي أيضًا بمعنى العطاء.

٤- استغناء الله سبحانه وتعالى عن خلقه: بين الله سبحانه وتعالى أنه مستغن عن خلقه فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

٥- أمره سبحانه وتعالى الناس بطلب الرزق منه دون سواه: لما بين الله عز وجل أنه هو الرزاق وأنه منفرد بالرزق مستغن عن خلقه فقد أمر عباده بطلب الرزق منه دون سواه فقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

٦- إنكاره سبحانه وتعالى على من يطلب الرزق من غيره: قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر]، وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، وقال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: ٢١].

٧- تكفل الله عز وجل بالرزق: خلق الله عز وجل الإنسان والجن لغاية عظيمة هي العبادة، ولذلك فقد تكفل الله سبحانه وتعالى لعباده بالرزق حتى يطمئنوا ويتفرغوا لعبادته فقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات]، وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]، فقدم الله رزق الآباء على الأبناء في آية الأنعام لأن الإقدام على قتلهم لفقر الآباء فقدم رزقهم، وقدم الله رزق الأبناء على الآباء في سورة الإسراء؛ لأن الإقدام على قتلهم لخشية جلب الأبناء الفقر لآبائهم، فقدم رزقهم.

٨- رزق الله دائم لا ينفد: قال تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

٩- رزق الله عز وجل للجميع: قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢]، لما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي اجعل يا رب أيضًا أئمة من ذريتي، فقال: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فظن إبراهيم أن رزق الله عز وجل خاص بالمؤمنين فقط قياسًا على الإمامة فبين الله سبحانه وتعالى له أن الرزق رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة فإنها خاصة بالخواص من المؤمنين، وقد نبه الله على هذه الحقيقة في سورة الإسراء فقال تعالى: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

١٠- ارتباط الرزق بحكمته سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢١]، وقال: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [النحل: ٧١]، وقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

١١- الرزق بغير حساب: قال تعالى: ﴿تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧]، وقال: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨]، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

١٢- امتنّ الله على عباده بالرزق الطيب: فقال تعالى: ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢]، وقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

١٣- الأمر بالأكل من الرزق الطيب: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٨٨]، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

١٤- الإنكار على من حرم رزق الله: قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

١٥- الإنكار على من لم يصبر على قلة الرزق: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦].

١٦- الرزق في الجنة: له عدة أسماء وصف منها:

أ- الرزق الكريم: قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]، وقال: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١].

ب- الرزق المعلوم: قال تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ٤٠، ٤١].

ج- الرزق الحسن: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨].

د- رزق الشهداء: قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

هـ- رزق دائم لا ينفد: قال تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

و- التشابه مع رزق الدنيا في الاسم فقط: قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]. والله المستعان.

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات المجلة للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيهًا مصريًا. وفروع أنصار السنة ١٥ جنيهًا مصريًا. ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.

مفاجأة كبرى

- لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٠ مجلدًا من مجلة التوحيد عن ٣٠ سنة كاملة.
- السعر: ٥٥٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
- ١٢٥ دولارًا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن.
- ٧٥ دولارًا للشحن.

تنبيه: علمًا بأن منفذ البيع الوحيد في المركز العام هو الدور السابع بمقر مجلة التوحيد.

دعوة

لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد

الحمد لله وبعد:

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعُبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتبعت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء - مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً فقط أو بـ ٢٠ جنيهًا مصريًا فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و٢٠ دولارًا قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق، فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنَّة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه